الفكر التربوي عند نور الدين زنكي وتطبيقاته المعاصرة

محمد بن درويش العمري

دكتوراه الفلسفة في التربية تخصص أصول التربية الإسلامية –كلية التربية = جامعة المدينة العالمية – بماليزيا

أ.د. إيمان محمد مبروك قطب

كلية التربية = جامعة المدينة العالمية – بماليزيا

الملخص

هدف هذا البحث إلى توضيح العوامل التي أسهمت في التكوين الفكري لنورالدين زنكي، ووضع تطبيقات مقترحة لتطوير الواقع التربوي في ضوء الفكر التربوي عند نور الدين زنكي، واعتمد البحث على المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي؛ لوصف وتفسير وتحليل ما قام به نور الدين زنكي في الجانب التعليمي والتربوي وتطبيقاته في الواقع التربوي المعاصر. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها: نجاح نور الدين زنكي على صعيد الواقع والتطبيق نجاحًا منقطع النظير. اشتمال النهضة العلمية في العهد الزنكي مختلف العلوم، فلم يقتصر الاهتمام على العلوم الشرعية واللغوية والأدبية دون غيرها. اهتمام نور الدين زنكي بمؤسسات المجتمع المدني كالمدارس، والربط، والكتاتيب..

الكلمات المفتاحية: الفكر التربوي- نور الدين زنكي.

Abstract

This research aimed to clarify the factors that contributed to the intellectual formation of Nour al-Din Zengi, and to develop suggested applications for developing the educational reality in light of Nour al-Din Zengi's educational thought. The research relied on the historical method and the descriptive analytical method. To describe, interpret and analyze what Nour al-Din Zengi did in the educational and pedagogical aspect and its applications in the contemporary educational reality. The study reached a set of results, including: - Nour al-Din Zengi's success in reality and application is unparalleled. - The scientific renaissance during the Zengid era included various sciences, so interest was not limited to the legal, linguistic, and literary sciences alone. - Nour al-Din Zengi's interest in civil society institutions such as schools, public transportation, and katabs.

Keywords: : Educational thought– Nour Alddin Zenki.

المقدمة

مقدمة البحث:

لم يكن أفراد المجتمع محور اهتمام الدول قديمًا قبل الإسلام؛ حيث إنَّ الطبقة الحاكمة والمترفة كانت تُسَخِّر عموم الناس لخدمتها، فكانت القِلَّةُ تتحكم في الأكثرية وتجبرهم على أنْ يكونوا تحت سلطتهم، أمَّا عموم أفراد المجتمع فلم يكن لهم أدنى نصيب من الاهتمام، وإنْ كانت بعض المجتمعات تسعى لتحقيق ما يسمى اليوم بالتنمية الاجتماعية إلا أنَّ ذلك كان بنسب متفاوتة (السروجي وآخرون،2001، 5).

وجاء الإسلام بنوره وتعاليمه وحذر من تجاهل أفراد الأمة، وحثَّ على الاهتمام بالأفراد والمجتمع، وجاءت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة داعيةً للاهتمام بالإنسان الذي كرمه الله وفضله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ (سورة الإسراء، الآية:70)، وجعل من حق بني الإنسان على الحكومات والدول والقادة أنْ تمنحهم حقوقهم كاملة، وتسعى للارتقاء بأحوالهم الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والفكرية؛ ليتقدموا في جميع جوانب الحياة.

وبدأ رسول الله ﷺ بتأسيس الدولة الإسلامية الأولى على أسس وقواعد فكرية وعلمية، فأسَّسَ من أول يوم مسجدًا أُسِّس على التقوى ليكون مكانًا للعبادة ونشر العلم، ثم أصلح بين الأوس والخزرج الذين استمرت بينهم الحرب سنين طويلة استنزفت أرواحهم وأموالهم، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار، ووضع دستورًا للمدينة يشمل كافة الذين يعيشون على أراضيها من مسلمين ويهود (حسين، 1438هـ، 17-19).

ثم بدأ ﷺ بترسيخ القواعد الفكرية والتنموية للدولة الإسلامية، فتدرَّج في التشريعات ليقوم المجتمع المسلم وينهض بأفراده بالتعاون مع القائد الأول ﷺ لتحقيق التنمية في المجتمع الناشئ الذي كان ممزقًا قبل ذلك، فجاءت نصوص القرآن الكريم والسنة

النبوية داعية للحفاظ على المجتمع فاهتم بالتنمية في الجانب التعليمي؛ حيث أمر زيدًا "أنْ يتعلم اللغة السريانية قال زيد بن ثابت: قال لي رسول الله ﷺ "تحسن السريانية؟ إنها تأتيني كتب "قال: قلت: لا. قال: "فتعلمها" فتعلمتها في سبعة عشر يومًا" (رواه أحمد بن حنبل في مسنده، رقم 21857، ج35/ 463)، كما اشترط النبي ﷺ على مَنْ أُسِرَ من قريش في معركة بدر أنْ يُعَلِّم عشرة من أبناء المسلمين القراءة حتى يطلق سراحه (رواه أحمد بن حنبل في مسنده، رقم 208، ج353/1).

واستمر الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم بعد انتقال النبي ﷺ على نهجه في تحقيق تنمية المجتمع وخاصة في الجانب التربوي والتعليمي، (حسين، 1438هـ، 15-20)، ومع مرور الزمن قامت دول إسلامية وسقطت أخرى؛ حيث قامت الدولة الأموية ثم العباسية فاتسعت رقعة الدولة الإسلامية حتى أضحت بلاد المسلمين قبلةً لغير المسلمين في طلب العلم، وتعاقبت على الأمة الإسلامية بعد ذلك دولٌ عديدة شهدت أحيانًا خلافة واحدة، وأحيانًا أخرى دول إسلامية متفرقة، وكان من الدول الإسلامية التي قامت الدولة الزنكية التي أسسها عماد الدين زنكي عام (521هـ) فقاوم الصليبيين، وأسس دولته في وقت كانت الحروب الصليبية مستعرةً ضد المسلمين "وما لبث عماد الدين زنكي أنْ صار أقوى حاكم مسلم في زمانه" (أبوشامة، 1422هـ، 37).

وبعد عماد الدين قام ابنه نور الدين محمود زنكي الذي أحدث نقلةً نوعية في عهده؛ حيث أقام العدل بين الناس، وافتتحت في عهده الكثير من المدارس كان نصيب مدينة حلب وحدها أربعة وخمسين مدرسة وهو عدد كبير في وقته، وطوَّر نظام الدولة بما فيه مصلحة الناس، واهتم بالعلماء وقدمهم على الأمراء (أبوشامة، 1422هـ، 39-40).

وكان له دور عظيم في الجانب التربوي، فقد استفاد نور الدين زنكي من الجهود العلمية والتربوية التي سبقته في تنمية المجال التربوي والتعليمي، فقد أدرك أنَّ التعليم هو الدعامة الرئيسة لبناء المجتمع عقائديًا وفكريًا وثقافيًا، فأنشأ المدارس والكتاتيب لتوجيه

وتوعية الأمة وتعبئتها تعبئة شاملة لمواجهة التحديات الداخلية المتمثلة في مذهب الشيعة والروافض، وخارجيًا في العدو الصليبي، وكانت تدار العملية التعليمية في عهده بأسلوب مؤسسي مكون من مجلس عام يُشرف على مسار العملية التعليمية والصياغة التربوية، وكان نور الدين أحد أعضائه، ويضم هذا المجلس نخبة من أهل الحل والعقد وهيئة كبار العلماء والقادة العسكريين والفقهاء والشيوخ المستنيرين ليتدارسوا أمور الأمة الإسلامية وبما يحقق مصلحتها (صلاح الدين، 1414هـ، 334).

وقام بتأسيس مئات المدارس لنشر التعليم في جميع أنحاء البلاد، واستقدم آلاف العلماء، والمعلمين النابغين للقيام بالتدريس في المدارس وكان مجتمع الدولة الزنكية مجتمع يتسم بالوعي، وخير دليل على ذلك ما ظهر من إقدام الوزراء والقادة والأغنياء والرجال والنساء في إنفاق أموالهم في بناء المدارس والمؤسسات التعليمية، وتوفير الفرصة لجميع أفراد الأمة لدخولها والاستفادة منها (صلاح الدين، 1414هـ، 359).

وأكد السبكي (2008، ج89/3) على أنَّ الحركة التعليمية في عهد نور الدين زنكي برزت منذ توليه الحكم سنة (541هـ)؛ حيث ركز نشاطه في تنفيذ سياسته التعليمية التي تهدف إلى مناهضة المذهب الشيعي، وإحياء المذهب السني، مما تطلب منه القيام بجهود تربوية وعلمية بارزة تجاه ذلك، فعمل على تشجيع العلم والعلماء عن طريق إنشاء العديد من المدارس على مختلف المذاهب السنية، وتوجيه التعليم وجهة سنية عن طريق تشجيع تدريس العلوم الشرعية، واستقطب العديد من العلماء لتولي مهمة التعليم وتحويل منابر العلم كاملة إلى المنهج السني.

ويأتي هذا البحث لإبراز معالم الفكر التربوي عند نور الدين زنكي من أجل الاستفادة منه وتوظيف تطبيقاته في الواقع التربوي المعاصر.

مشكلة البحث:

تحتل الدول العربية المرتبة الأخيرة في مجال البحث العلمي بين المجموعات السكانية في العالم، وذلك من خلال مجموعة مؤشرات منها: معدل الإنفاق على البحث العلمي، وعدد براءات الاختراع وحقوق التصنيع، ومما يدل على هذا التأخر أنَّ: "الإنفاق على البحث العلمي أقل مما يذكر مقارنة بالدول المتقدمة، وكذلك نسبة العاملين في البحث والتطوير لكل مليون نسمة لا يتجاوز في بعض الأحيان (1%) من الأرقام الواردة في الدول المتقدمة"، وأكدت دراسة نابي (2014، 303) على أنَّ التنمية في الدول المتقدمة لم تتحقق من فراغ، وإنما تحققت بالتخطيط السليم، وإذا أرادت الدول العربية والإسلامية تحقيق التنمية فإنَّ ذلك يحتاج منها إلى إرادة سياسية واضحة المعالم تعتمد على الدراسة والبحث والتخطيط وإتباع الأسلوب العلمي، وتحتاج إلى كوادر بشرية، ومبادرات ومشاريع وخطط اقتصادية وسياسية تكون واضحة المعالم، وقادرة على إحداث هذه التنمية على أرض الواقع.

ولا يكاد يخلو مسجد من المساجد في عهد نور الدين زنكي من مكتبة ضخمة تضم عددًا كبيرًا من الكتب في مختلف العلوم، والتخصصات وكانت تلك المكتبات تُوقف خصيصًا على المساجد ليرجع إليها طلاب العلم والباحثون، وكانت بمثابة مدارس للتعليم وهيئات يُنْفق عليها لنشر العلم بين الناس، خصوصًا في وقت لم يكن للطباعة أي وجود، وكانت الكتب تُنْسَخ بالأيدي كتابةً، فكان يتعذر على الكثيرين من طلاب العلم اقتناء الكتب لقلة عدد نسخها وارتفاع أسعارها (المزيني، 1424هـ، 154-155).

لقد اهتم نور الدين زنكي في عهده بالمكتبات لإثراء الناحية العلمية والتعليمية والفكرية، فكانت المكتبات ثرية بالكتب الشرعية، والعلمية والتطبيقية إيمانًا منه بأنَّ العلوم المختلفة هي أساس إصلاح المجتمع في كافة الجوانب، كما أنَّه حقق مجالات التنمية المجتمعية في دولته وخاصة المجال التربوي والتعليمي، حتى كانت ظاهرة للعيان، وسطرت

كتب التاريخ إنجازاته وجهوده الكبيرة رغم قلة الإمكانات في دولته، لكنه بطريقة تفكيره الإبداعية، وحكمته وعدله استطاع بعد توفيق الله تعالى أنْ يحقق التنمية المستدامة والشاملة في دولته رغم الحروب التي خاضها ضد الصليبين.

ورغم زيادة مقدَّرات كثير من الدول العربية والإسلامية وما تمتلكه من ثروات بشرية ومعدنية وطبيعية فإنَّ معوقات التنمية المستدامة في كافة الجوانب، وخاصة الجانب التربوي والفكري لا تزال قائمة رغم وفرة الإمكانات في العصر الحديث عن ذي قبل، ومن المنطلقات السابقة جاء هذا البحث، ليوضح الفكر التربوي عند نور الدين زنكي للخروج من ذلك بتطبيقات عملية يمكن الاستفادة منها في تطوير الواقع التربوي المعاصر، وتطوير المؤسسات التربوية والتعليمية.

أسئلة البحث:

1. مالعوامل التي أسهمت في الفكر التربوي عند نورالدين زنكي؟
2. ما التطبيقات المقترحة لتطوير الواقع التربوي المعاصر في ضوء الفكر التربوي عند نور الدين زنكي؟

أهداف البحث:

1. بيان العوامل التي أسهمت في التكوين الفكري لنورالدين زنكي.
2. وضع تطبيقات مقترحة لتطوير الواقع التربوي في ضوء الفكر التربوي عند نور الدين زنكي.

أهمية البحث:

تكمن الأهمية النظرية لهذا البحث في أنَّه: يُبْرِز الدور الكبير الذي قام به نور الدين زنكي في المجال التربوي والتعليمي كإنشاء المدارس والمكتبات والأوقاف ومناهج التعليم، ويُسَلط الضوء على فكر نورالدين زنكي التربوي للاستفادة منه في تطوير الواقع التربوي المعاصر، وتتمثل أهميته التطبيقية في أنَّه: يُوَظف الفكر التربوي عند نورالدين

زنكي كتطبيقات عملية في تطوير الواقع التربوي، ويُفيد المسؤولين التربويين في الدول العربية والإسلامية في تطوير وتنمية الواقع التربوي والمؤسسات التربوية والتعليمية، ويُسْهِم في إثراء المكتبة العربية بإطار نظري عن الإنجازات التي قام بها نور الدين زنكي في تحقيق التنمية التربوية والتعليمية في عهده.

مصطلحات البحث:

التطبيقات:

مجموعة من المفاهيم والحقائق والمعارف والمبادئ والاتجاهات التي ينبغي على المتعلمين تطبيقها تطبيقًا عمليًّا، ووعيها ومعايشتها بطريقة تنمي قدراتهم على الأداء العملي بشكل جيد، وتساعدهم على تكوين السلوكيات والعادات والاتجاهات الحسنة، وتعمل على تنمية ميولهم وإشباع حاجاتهم بشكل إيجابي لتحقيق الشخصية المتكاملة للإنسان الصالح في ضوء التصور الإسلامي" (الفاربي؛ وآخرون، 1994، 372)، وإجرائيًا: مجموعة من المبادئ والأساليب المستنبطة من الفكر التربوي في عهد نورالدين زنكي، التي يمكن تطبيقها في الواقع التربوي المعاصر.

الدراسات السابقة والتعليق عليها:

لم يجد الباحث دراسات سابقة تربوية تناولت موضوع الفكر عند نور الدين زنكي وتطبيقاته في الواقع التربوي المعاصر، ولكن معظم الدراسات التي تناولت نور الدين زنكي وعهده هي دراسات تاريخية في مجملها، ولم يحصل الباحث سوى دراسة تربوية واحدة تناولت الجانب التعليمي والتربوي وما يتصل به عند نور الدين زنكي ويتناول الباحث بعضًا من هذه الدراسات مرتبة من الأقدم للأحدث على النحو الآتي:

1. دراسة الرفاعي (1994م):

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على واقع الحياة في عهد نور الدين زنكي في بلاد الشام، وبيان واقع المؤسسات التربوية في عهد نور الدين زنكي في بلاد الشام،

وتوضيح واقع المدرسين في عهده في بلاد الشام، وبيان اهتمام نور الدين زنكي بتهيئة البيئة المناسبة لهم وللطلاب، كما هدفت الكشف عن واقع المناهج وتنوِّعها في عهده، ولتحقيق الأهداف السابقة استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

2. دراسة الغامدي (2015م):

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مقومات الإصلاح المجتمعي عند الخليفة عمر بن عبد العزيز من خلال التعرف على العوامل التي أسهمت في التكوين الفكري للخليفة عمر بن عبد العزيز، ومقومات الإصلاح الديني والتعليمي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والإداري عنده، ثم تقديم تطبيقات تربوية لهذه المقومات في كل من الأسرة والمدرسة والمسجد والمؤسسات التعليمية، واعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي، وتوصلت إلى: أنَّ تواضع المسؤول وقربه من حوائج الناس يبعث الاطمئنان والراحة في نفوس أفراد المجتمعات، وأنَّ القدوة الاجتماعية لها أثر كبير على مستوى الأسرة والفرد والمدرسة والمجتمع، وأنَّ إيصال العلم إلى الأماكن النائية وتبني الدولة لهذه المهمة له أثر بالغ في رفع مستوى الثقافة في المجتمع.

3. دراسة البلوشي وإبراهيم (2018م):

هدفت هذه الدراسة إلى إظهار قيمة المسؤولية المجتمعية في الإسلام، ماهيتها، وطبيعتها، وحدودها، وضوابطها، ونتائجها على الفرد والمجتمع، والمعاني والأخلاق والقيم الناتجة عنها، خصوصًا بعد طغيان المادة، وظهور الرأسمالية، ونظام العولمة التي تحتكر بموجبه فئة قليلة من الناس خيرات وثروات الشعوب، وتترك عموم المجتمعات من غير ما يسد حاجاتهم، وأثر المسؤولية المجتمعية على الأفراد والمجتمعات في النهوض والاستقرار، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، ومن أبرز نتائجها: أنَّ أداء المسؤولية المجتمعية في الإسلام واجب ديني؛ وفضيلة إسلامية سبق الإسلام بها النظم المعاصرة، ومبادئ المسؤولية المجتمعية متأصلة في الإسلام من خلال الآيات القرآنية والأحاديث

الشريفة، وتتميز المسؤولية المجتمعية في الإسلام بنظرتها الشمولية، فلا تركز على النواحي المادية فقط.

4. دراسة جنيح (2019م):

هدفت هذه الدراسة إلى إبراز أهمية تنشئة الأطفال على مشاريع مستقبلية تربوية من شأنها أنْ تسهم في نقل المبادئ، ومزاولة الواجبات المهنية التي تليق بهم، ومجتمعاتهم على جميع المستويات المختلفة: التربوية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وإبراز جوانب متعددة من العلاقة الموجودة بين المدرسة والأسرة التي قد تبرز فيها أفكار ونظريات جديدة مع التقدم العلمي والتقني من شأنها تسهم في تنمية المجتمع، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت إلى أنَّ: الأسرة تسهم في النشاط الاجتماعي في كل جوانبه: التربوي والعقائدي والاقتصادي، وأنَّ الأسرة هي لبنة الأساس في بناء وتطوير المجتمعات، وأنَّ المدرسة تركز على تفعيل التواصل بين الجيل والمجتمع وتعد النقطة المركزية للعلاقات الاجتماعية المتفاعلة بعضها مع بعض كالمتعلمين والمعلمين والمجتمع.

5. دراسة عيد (2019م):

هدفت هذه الدراسة إلى توضيح دور المسؤولية الاجتماعية للقطاع الخاص في تحقيق التنمية المستدامة وصولًا إلي الآليات المناسبة التي تمكن القطاع الخاص من المسؤولية الاجتماعية للقطاع الخاص ودورها في تحقيق التنمية المستدامة والوفاء بمسئولياته الاجتماعية تجاه تحقيق التنمية المستدامة، وتحديد دوافع ومعايير المسؤولية الاجتماعية للقطاع الخاص، وتحديد التحديات التي تواجه المسؤولية الاجتماعية للقطاع الخاص من أنْ يؤدي دورًا فعالًا في تحقيق التنمية المستدامة، وتحديد الآليات المناسبة التي تمكن القطاع الخاص من الوفاء بمسئولياته الاجتماعية تجاه تحقيق التنمية المستدامة، واستخدمت الدراسة منهج المسح الاجتماعي، وطبقت الدراسة على أصحاب مؤسسات وشركات القطاع الخاص المسؤولين بالغرفة التجارية الصناعية بمدينة مكة المكرمة وعددهم (53)، وتوصلت إلى العديد من النتائج التي توضح دور القطاع الخاص في تحقيق التنمية المستدامة.

6. دراسة كرتات (2021):

استهدفت هذه الدراسة التعرف على أثر التنمية الاقتصادية المتوازنة في توفير متطلبات سوق العمل المستقبلية بالمملكة العربية السعودية، وتحديد معوقات تطبيق التنمية المتوازنة علي سوق العمل بالمملكة العربية السعودية، وتحديد علاقة سوق العمل بالتنمية الاقتصادية المتوازنة، واعتمدت الدراسة على الطريقة الوصفية في تحليل البيانات، والملاحظة الشخصية بالإضافة إلى رصد جهود وتصريحات المسؤولين فيما يتعلق بإيجاد حلول لمشكلة البطالة وموائمة مناهج الجامعات مع متطلبات سوق العمل بتطبيق مشاريع تعني بالتنمية الاقتصادية المتوازنة، وتوصلت الدراسة إلى: أنَّه توجد علاقة إيجابية بين التنمية الاقتصادية المتوازنة وتوافق مخرجات التعليم مع متطلبات سوق العمل المستقبلية بالمملكة العربية السعودية، وأنَّ معوقات تطبيق التنمية الاقتصادية المتوازنة يؤدي إلى صعوبة توفير متطلبات سوق العمل بالمملكة العربية السعودية، وأنَّ تطبيق التنمية الاقتصادية المتوازنة يؤدي إلى حل مشكلة البطالة بالمملكة العربية السعودية.

التعليق على الدراسات السابقة:

اختلف البحث الحالي في أهدافه عن الدراسات السابقة؛ حيث هدف إلى التعرف على الفكر التربوي عند نور الدين زنكي وتطبيقاته في الواقع التربوي المعاصر، من خلال التعرف على: أهم العوامل التي أسهمت في التكوين الفكري لنورالدين زنكي، ووضع تطبيقات مقترحة لتطوير الواقع التربوي المعاصر في ضوء الفكر التربوي عند نور الدين زنكي، أما الدراسات السابقة فقد بينت واقع الحياة في عهد نور الدين زنكي في بلاد الشام، وواقع المؤسسات التربوية والمدرسين في عهده، واهتمام نور الدين زنكي بتهيئة البيئة المناسبة لهم وللطلاب، ومقومات الإصلاح المجتمعي عند الخليفة عمر بن عبد العزيز، وإظهار قيمة المسؤولية المجتمعية في الإسلام، وأهمية تنشئة الأطفال على مشاريع مستقبلية تربوية من شأنها أنْ تسهم في تنمية الجوانب التربوية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية،

وبيان أثر التنمية الاقتصادية المتوازنة في توفير متطلبات سوق العمل المستقبلية بالمملكة العربية السعودية، وأثر التنمية الاقتصادية المتوازنة في توفير متطلبات سوق العمل المستقبلية بالمملكة العربية السعودية.

واتفق البحث الحالي جزئيًا مع دراسة الغامدي (2015م) في اعتماده على المنهج التاريخي للوصول إلى النتائج وتحقيق الأهداف، واختلف جزئيًا في المنهج المستخدم وهو المنهج التاريخي مع دراسة الرفاعي (1994م)، والبلوشي وإبراهيم (2018م)، وجنيح (2019م) التي اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي فقط، كما اختلفت مع دراسة عيد (2019م) التي استخدمت منهج المسح الاجتماعي، ومع دراسة كرتات (2021م) التي اعتمدت على المنهج الوصفي.

وتميز البحث الحالي عن غيره من الدراسات السابقة في أنَّه تناول الفكر التربوي عند نورالدين زنكي، وبيان إمكانية الاستفادة منه في الواقع التربوي المعاصر، وأنَّه تناول شخصية تاريخية تربوية أسهمت في رقي المجتمع المسلم، واستفاد البحث الحالي من الدراسات السابقة في: بلورة مشكلته، وتحديدها تحديدًا دقيقًا، ودعمها بالنتائج، وبناء أدبيات البحث، وتحديد المنهج المناسب له، والتعرف على بعض جوانب الفكر التربوي المختلفة عند نورالدين زنكي.

منهج البحث:

اعتمد البحث الحالي على المنهج التاريخي، وذلك من خلال: تحديد المشكلة، وجمع المعلومات والبيانات واستقراء تاريخ الدولة الزنكية ونورالدين زنكي والظروف التي عاشها، وأثرت في فكره التربوي، وتحديد مصادر المعلومات والبيانات، ونقد مصادر المعلومات، والتحقق من الإجابة عن أسئلة الدراسة، والوصول للتفسيرات والاستنتاجات، كما اعتمد البحث أيضًا على المنهج الوصفي التحليلي، والذي سيتم من خلاله وصف

وتفسير وتحليل ما قام به نور الدين زنكي من فكر تربوي، وإبراز العوامل المؤثرة في شخصيته، واستخراج أهم مظاهر الفكر التربوي عنده.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية: اقتصر البحث على دراسة موضوع الفكر التربوي عند نور الدين زنكي وتطبيقاته التربوية المعاصرة.

الحدود المكانية: الفترة في الديار الشامية التي كان يحكمها نورالدين زنكي، أما التطبيقات التربوية التربوية المعاصرة فتكون في المملكة العربية السعودية.

الحدود الزمانية: فترة تولي الملك العادل نور الدين زنكي الملك من سنة (541هـ)، وحتى وفاته سنة (569هـ).

إجراءات وأدوات البحث:

اعتمد الباحث على المصادر التاريخية الأولية، والمراجع الأولية والثانوية والبحوث العلمية التي تناولت عهد الدولة الزنكية، وتناولت الملك نور الدين زنكي وفكره التربوي للاستفادة منها، ووصف وتفسير وتحليل ما قام به نور الدين زنكي من فكر تربوي كان له الأثر الكبير في التنمية المجتمعية الشاملة في عهده.

العوامل التي أسهمت في التكوين الفكري لنور الدين زنكي:

تعددت العوامل التي أثرت في التكوين الفكري لنور الدين زنكي، وكان من أهمها نشأته وملازمته لأبيه قبل توليه المُلك، فقد كان كثير المطالعة للعلوم الدينية، ومتتبعًا للآثار النبوية، ومواظبًا على الصلوات في الجماعات، ومراعيًا لآدابها في الأوقات، ومؤديًا الفروض والنوافل، ومُعظمًا لقدرها في جميع حالاتها، وعاكفًا على تلاوة القرآن على مر الأيام، وكان متين العقل ثاقب الرأي، مقتدي بالكتاب والسنة النبوية، والسلف الصالح، ومنذ توليه المُلك ظهرت عليه صفات القائد المتميز؛ حيث بدأ ببناء الدولة من جميع

جوانبها الإدارية والعمرانية والثقافية والفكرية، وكانت مداركه الحضارية واسعة الآفاق فأقام صروحًا كبيرة، وبني المستشفيات، واهتم بالحياة الثقافية والتربوية.

اسمه ونسبه:

هو نور الدين محمود زنكي بن الأتابك، ولد في حلب سنة 511هـ (الذهبي، 1402هـ، ج531/20)، ويرجع نسبه إلى قبيلة ساب يو التركية، وتربى نور الدين زنكي منذ طفولته تحت رعاية والده، ولم يكن نشاط نور الدين زنكي في حياة والده ظاهرًا لانشغاله بتحصيل العلم، ولكن برز نشاطه بعد وفاة والده في عام 541هـ، ليتجه إلى حلب بمساعدة أمراء والده وتمكن في السيطرة عليها في نفس العام (أبو صيني، 2000، 73-75).

نشأته وحياته قبل توليه المُلك:

نشأ نور الدين زنكي في كفالة والده، وتعلم القرآن الكريم والفروسية والرمي، وكان شهمًا، ذا همة عالية، كما كان نور الدين على فهم صحيح لحقيقية الإسلام؛ حيث كانت حياة نور الدين زنكي في فترة حكم والده عماد الدين زنكي حتى مماته بمثابة مدرسة عليا شاملة لجميع أنواع المعارف الإنسانية في مجالات العلوم السياسية، والإدارية، والعسكرية بالإضافة إلى العلوم الشرعية الدينية، وعليه فقد تشبع نور الدين أثناء تلك الفترة بالأسلوب النظري في حياة والده، ومن ثم برز الجانب التطبيقي بعد وفاة والده في صد هجمات الصليبين، وإجهاض التشيع، وإحياء السنة في حلب والشام ومصر (أبو صيني، 2000، 83).

توليه المُلك:

تولى نور الدين زنكي حكم حلب وما جاورها من مدن الشام في عام (541ه) عقب وفاة والده عماد الدين زنكي مؤسس الدولة الزنكية، في حين كان أخوه الأكبر سيف الدين غازي مقيمًا بشهرزور، وكان يحكم الموصل والجزيرة (المزيني، 1424هـ،

44)، وتعاون سيف الدين ونور الدين؛ حيث اشترك جيشهما في الدفاع عن دمشق، والجهاد ضد الصليبيين الذين حاصرت قواتهم المدينة في الحملة الصليبية الثانية سنة 543ه، ونجحا في حمل الصليبيين على الرحيل عن دمشق (ابن واصل، 2015، ج116/1).

وفاته:

توفى نور الدين زنكي في الحادي عشر من شوال سنة (569ه)، إثر إصابته بالذبحة الصدرية، وظل في فراش الموت أحد عشر يومًا، ثم توفى بعدها عن عمر يناهز التاسعة والخمسين من عمره، ودفن بقلعة دمشق، ثم نقل جثمانه إلى تربة تجاور مدرسته التي بناها لأصحاب أبي حنيفة النعمان جوار الخوَّاصين في الشارع الغربي بدمشق، وقال الذهبي (1402هـ، ج537/20): "نور الدين الشهيد".

السمات الشخصية لنور الدين زنكي:

تميزت شخصية نورالدين زنكي بمجموعة من الصفات الرفيعة، والأخلاق الحميدة التي ساعدته على تحقيق إنجازاته العظيمة، وفقًا لما تحويه شخصيته من سمات الجدية والذكاء المتوقد، وشعوره بالمسؤولية، وقدرته على مواجهة المشاكل والأحداث، ونزعته للبناء والإعمار، وصفات خُلُقية متضمنة تجرده وزهده، ومفهومه للتوحيد، وعبادته وكرمه وإنفاقه، كما تميز بمجموعة من الصفات الخِلْقِية، تمثلت في: اللياقة البدنية العالية، وقوة الشخصية، والشجاعة

الجدية والذكاء:

تتعدد المواقف في حياة نور الدين زنكي لتُظْهِر الجدية والذكاء الراسخين في تكوين سماته الشخصية، ومن صور الجدية عنده ما ذكره ابن الأثير: "كان جوسلين الفرنجي في ولايته غربي الفرات تل باشر وما جاورها، فراسل أهل الرها وكان عامتهم من الأرمن، وواعدهم يومًا يصل إليهم فيه فأجابوه إلى ذلك فسار في عساكره إليها وملكها، وامتنعت عليه القلعة بمن فيها من المسلمين، وقاتلهم وجَّد في قتالهم، فبلغ الخبر إلى نور

الدين فسار مجدًا إليها في العسكر الذي عنده، فلما سمع جوسلين بوصوله خرج عن الرها إلى بلده ودخل نور الدين المدينة ونهبها وسبى أهلها فلم يبق منهم إلَّا القليل وأجلى من كان بها من الفرنج (ابن الأثير، 1963، 87؛ وخليل،1400هـ، 12).

يتضح مما سبق جدِّية ودهاء نورالدين زنكي؛ حيث كان يكثر إعمال الحيل والمكر والخداع مع الفرنج وأكثر ما ملكه من بلادهم به، وهكذا ترتبط جدِّية نور الدين زنكي بذكائه الحذر ودهائه الذي حقق له الكثير من المكاسب والمنجزات والذي لم يتح لأحد من الأعداء في الداخل أو الخارج أنْ ينال منه أو من بلاده.

شعوره بالمسؤولية:

يرجع شعور نور الدين زنكي بالمسؤولية إلى ورعه وتقواه، والتي ظهرت في جميع أعماله كترجمة لإحساسه بالمسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه الوقت أنْ يضيع هباءً، والدم المسلم من أن يُهدر، والكرامة الإسلامية من أنْ تهان، والأرض الإسلامية من أنْ تُغزى وتُقتطع (طقوش، 1417هـ، 407).

وجعلت الخشية من الله تعالى نور الدين زنكي دائمًا في موقع المحاسب لنفسه، المراقب لها حتى لا تتجاوز إلى ما يغضب الله، فهو يعتبر نفسه مسؤولًا أمام الله عن كل ما يتعلق برعيته من المسلمين وغير رعيته من الأقباط وغيرهم ماداموا تحت إمارته (أبو صيني،2000، 132)، ويتجلى الشعور بالمسؤولية لدى نور الدين زنكي من خلال إجابته على رسالة إيلدكز أمير أذربيجان وأرمينية وهمذان والري، والتي يطلب فيها منع نور الدين زنكي من دخول الموصل، وأنَّه لا سبيل له في الدخول إليها، فكان جوابه: أنا أرحم ببني أخي سيف الدين منك، فلا يجوز لي أنْ أتركك على ما أنت عليه، فإنَّه يجب علينا القيام بحفظ ما أهملت من بلاد الإسلام، وإزالة الظلم عن المسلمين (ابن العديم، 1954، ج333/2؛ وخليل،1400هـ، 17).

قدرته على مواجهة المشاكل:

اعتمد نور الدين زنكي على الحلول العقلية ذات الطابع العلمي في مواجهة المشاكل والأحداث، والتعامل بسنة الأخذ بالأسباب، ومن أهم الشواهد عل قدرته في مواجهة المشاكل أنَّه في سنة (552ه) شهدت الجهات الوسطى والشمالية من بلاد الشام زلازل عنيفة تتابعت ضرباتها القاسية فخربت الكثير من القرى والمدن، وأهلكت حشدًا لا يحصى من الناس وتهدمت الأسوار والدور والقلاع، فما كان من نور الدين زنكي إلَّا أنْ بذل جهودًا عظيمة في إعادة إعمار ما تهدم وتعزيز دفاعاته، فأعاد البلاد إلى أحسن مما كانت عليه (ابن الأثير، 1963،112؛ وخليل، 1400ه، 18).

نزعته للبناء والإعمار:

أنشأ نور الدين زنكي العديد من المساجد والأربطة والزوايا للتعبد وتربية الروح، كما أنشأ المدارس ودور الحديث للتعلم وتربية العقل، وشجَّع أعمال الفروسية وسائر النشاطات الرياضية لكسب المزيد من المهارات القتالية، وتنمية الجسد، وبنى دورًا للأيتام لإيواء أطفال المسلمين، والمارستان لمعالجة المرضى، وأقام الجسور والقناطر والحدائق والقنوات والأسواق وشقَّ الطرقات العامة، فحفلت دولته بالكثير من المؤسسات الاجتماعية والعمرانية، و لم يكن يهتم نور الدين زنكي بالبناء فقط، بل كان يهتم بالجمال في البناء (خليل، 1400هـ، 19-21).

تجرده وزهده:

اتسم نور الدين زنكي بالزهد والتجرد نتيجة لمعايشته للقرآن الكريم وهدي النبي ﷺ، وتفكره في أمور الحياة ليعلم من حقائق الدنيا أنها دار اختبار وابتلاء، كما يرجع ذلك ليقينه التام بأنَّ الإنسان في هذه الدنيا أشبه بالغريب، أو عابر سبيل، مصداقًا لقول الحبيب ﷺ: "كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل" (أخرجه الترمذي، برقم: 2333)، وأنَّ هذه الدنيا لا وزن لها، ولا قيمة عند رب العّزة إلا من كان فيها طاعة لله، ترسيخاً لقوله ﷺ: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة

ماء" (أخرجه الترمذي، برقم: 2320)، ألا إنَّ الدُّنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وما والاه أو عالما أو متعلمًا" (أخرجه الترمذي، برقم: 2322)، وأنَّ الآخرة هي الباقية، وهي دار القرار.

يتضح مما سبق أنَّ حقائق الأمور لدى نور الدين زنكي ترسخت، وأثرت في شخصيته ليتجرد من مظاهر الدنيا البراقة، وليزهد فيها بحق مصداقًا لما جاء في كتاب الله العزيز الحكيم، وسيرًا على نهج الحبيب المصطفى ﷺ.

وكان رحمه الله عندما يُهْدَى من الملوك هدايا من المناديل والسكاكين والمهاميز والدبابيس، وكل دقيق وجليل لا يتصرف في شيء منه بل يعرض نظره عنه، وإذا اجتمع يخرجه إلى مجلس القاضي ليحصّل أثمانها الموفورة ويصرفها في عمارة المساجد المهجورة (البنداري، 1979، 143؛ خليل،1400هـ،41).

يتبين مما سبق أنَّ نور الدين زنكي تحلى بالزهد والتجرد، زهد المؤمن الذي لا يرغب في الدنيا وما فيها من الملذات والشهوات، وإنما يسعى ويعمل للآخرة دار النعيم والخيرات، وكانت هذه السمة من أبرز سماته الخُلُقية.

مفهومه للتوحيد:

عمق نور الدين زنكي في حياته مفهوم التوحيد الصحيح، وحقق الإيمان بكل معانيه والتزم بشروطه وابتعد عن نواقضه، ومن دلالة ذلك ما أشار إليه قطب الدين النيسابوري في قوله لنور الدين زنكي: بالله لا تخاطر بنفسك، وبالإسلام والمسلمين فإنَّك عمادهم (أبوشامة، 1418هـ، ج339/2)، وفي هذا نصحية لنورالدين زنكي بعدم الاشتراك في القتال والمخاطرة بنفسه حتى لا يقتل وتؤخذ البلاد من قبل الأعداء.

فرد نورالدين زنكي على قطب الدين بإنَّ قوله فيه إساءة أدب مع الله، وأمره بالسكوت، وقال: مَنْ محمود حتى يقال له هذا، قبلي من حفظ البلاد، ذلك الله الذي لا إله إلا هو فبكى من كان حاضرًا (ابن الأثير، 1963، 169؛ وشهبة، 1971 ،30).

وفي مشهد الحرب؛ حيث الموت على بُعْد خطوات، كان نور الدين زنكي يذوب تواضعًا وإشفاقًا، وعندما التقت قواته في حارم بالصليبيين الذين كانوا يفوقونهم عدة وعددًا انفرد نور الدين زنكي تحت تل حارم وسجد لربه عز وجل ومرَّغ وجهه وتضرع وقال: يارب هؤلاء عبيدك وهم أولياؤك، وهؤلاء عبيدك وهم أعداؤك، فانصر أولياءك على أعدائك، وفي ذلك ذكر أبو شامة قائلاً: "يشير نور الدين هنا إلى أنك يا رب إنْ نصرت المسلمين فدينك نصرت، فلا تمنعهم النصر بسبب محمود إنْ كان غير مستحق للنصر (أبوشامة، 1418هـ، ج180/2).

عبادته:

أشار ابن كثير إلى أنَّ نورالدين زنكي كان كثير المطالعة للعلوم الشرعية، ومتبعًا للآثار النبوية، ومحافظًا على أداء الصلوات في الجماعة، وكان كثير تلاوة القرآن الكريم، كما كان كثير الصيام، وله أوراد في الليل والنهار، وكان يقدم أشغال المسلمين عليها ثم يتمم أوراده (شهبة، 1971 ،54؛ وخليل،1400هـ،46-54).

ومن خلال ما أشار إليه ابن كثير يمكن القول إنَّ نورالدين زنكي انطلق في عبادته من المنطق الذي شرعه الإسلام، والذي يجعل التعبد لله ممارسة إيجابية تضرب في أعماق النفوس البشرية فتغيرها للأفضل، كما أنَّها تمتد إلى حركة التاريخ فتصوغ مسيرته، كما يستنتج الباحث أنَّ طبيعة تعبد نور الدين زنكي تدفعه إلى تحمل المسؤولية، وتجعله في قلبها وهو أعمق وعيًا، وأشد خشية لله، وأمضى عزيمة في الحفاظ على الأمة.

محبته للجهاد والشهادة:

تربى نور الدين زنكي على حب الجهاد والشهادة في سبيل الله، ويشير العماد الأصفهاني إلى أنَّه حضر عند نور الدين زنكي بدمشق وعنده جماعة؛ والحديث يجري بينهم في طيب دمشق، ورقة هوائها، وأزهار رياضها وكل واحد يمدحها، فقال نور الدين زنكي: إنما حب الجهاد يسليني عنها فما أرغب فيها (البنداري، 1979، 27؛ وخليل، 1400هـ، 45).

إنفاقه وكرمه:

اشتهر نور الدين زنكي بالإنفاق الواسع والكرم العظيم، وكانت له أوقاف عظيمة، يقول العماد الأصفهاني: "وكلف نور الدين بإفادة الألطاف والزيادة في الأوقاف وتكثير الصدقات وتوفير النفقات وكسوة النسوة الأيامى، وإغناء الفقراء من الرعية وإنجادها بعد إعدامها، وصون الأيتام والأرامل ببذله، وعون الضعفاء، وعمارة المساجد المهجورة، وإسقاط كل ما يدخل في شبهة الحرام فما أبقى الجزية والخراج وما تحصل من قسم الغلات على قويم المنهاج، فأمر بأنْ يكتب مناشير لجميع أهل البلاد فكتب أكثر من ألف منشور، وحسبنا ما تصدق به على الفقراء في تلك الأشهر، فزاد على ثلاثين ألف دينار" (المقدسي، 1991، ج346/1).

يتضح من دراسة الصفات التي تحلى بها نور الدين زنكي اهتمامه ببذل الصدقات للضعفاء والأيتام، وأوقف الأوقاف على المرضى والمجانين، وأقام لهم الأطباء والمعالجين، كما أوقف الأوقاف على العلماء ومعلمِّي الخط والقرآن وساكني الحرمين، ومجاوري المسجدين، ورفع عن الحجاج ما كان يؤخذ منهم من المكس.

اللياقة البدنية العالية:

تطلبت حياة نور الدين زنكي جسدًا قويًا قادرًا على تحمل الأعباء والمشقات، ولا يتم بناء الجسم القوي إلا بممارسة الرياضة، ولذلك كان نور الدين زنكي مواظبًا على ممارسة الألعاب الرياضية المعروفة في زمانه التي تتعلق بالفروسية وأعمال القتال، وكان بشكل خاص مولعًا بلعبة الكرة أو الصولجة التي تدعى في هذه الأيام بلعبة البولو (أبو صيني،2000، 134).

يتبين مما سبق أنَّ نورالدين زنكي تميز باللياقة البدنية العالية، من خلال ممارسته للرياضة والألعاب الرياضية التي كانت معروفة في زمانه، وكلها تتعلق بالفروسية وأعمال القتال، وفنون الحرب، وممارسته للرياضة لم تكن لهوًا ولا ترفًا ولا تضييعًا للوقت، وإنما

كانت نابعة من فهمه الحقيقي لمفهوم العبادة الشامل، وتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

قوة الشخصية:

كان نور الدين زنكي قوي الشخصية، قادرًا على الوقوف في نقطة التوازن بين الصرامة والمرونة، والشدة واللين، والعنف والرحمة، وقد وصفه المؤرخون بأنَّه كان: مهيبًا مخوفًا مع لينه ورحمته، وأنَّه كانت إليه النهاية في الوقار والهيبة، وشديدًا في غير عنف، ورقيقًا في غير ضعف (البنداري، 1979، 27؛ وخليل، 1400ه،45)، وكان مجلسه كما رُوِي يشبه صفة مجلس رسول الله ﷺ مجلس حلم وحياء، لا تؤبن فيه الحرم، ولا يذكر فيه إلا العلم والدين وأحوال الصالحين والمشورة في أمر الجهاد، وقصد بلاد العدو، ولا يتعّدى هذا.. وقال الحافظ ابن عساكر الدمشقي: كنا نحضر مجلس نور الدين فكنا كما قيل: كأنَّ على رؤوسنا الطير تعلونا الهيبة والوقار، وإذا تكلم أنصتنا، وإذا تكلمنا استمع لنا (ابن الأثير، 1963، 173؛ وخليل، 1400هـ، 24)، وأشار ابن كثير (1419هـ،24) إلى أنَّه: لم يُسْمع من نورالدين زنكي كلمة فحش قط في غضب ولا رضى، وكان صموتًا وقورًا.

يُسْتنتج مما سبق أنَّ نورالدين زنكي تحلى بقوة الشخصية التي جعلته مهابًا وقورًا في عيون الناس جميعًا من الأتباع وحتى من الأعداء، وكان مجلسه يشبه مجلس الرسول ﷺ في الهيبة والوقار والسكينة والعلم.

الشجاعة:

تحلى نور الدين زنكي بالشجاعة التي ورثها عن والده عماد الدين زنكي الذي مضرب الأمثال في الشجاعة؛ حيث شارك نور الدين زنكي في جميع المعارك التي خاضها والده قبل توليه الملك، ومن بعد توليه الحكم أمضى معظم أيام حياته على صهوة جواده يشارك جنوده المعارك، ويتقدم الصفوف في الحروب، راجيًا النصر لجيشه، والشهادة لنفسه.

ويتحدث ابن الأثير عن شجاعة نورالدين زنكي بقوله: وأما شجاعته وحسن رأيه فقد كانت النهاية إليه فيهما، فإنَّه كان أصبر الناس في الحرب، وأحسنهم مكيدة ورأيًا، وأجودهم معرفة بأمور الأجناد وأحوالهم، وبه كان يضرب المثل في ذلك، وسمعت جمعًا كثيرًا من الناس يقولون إنهم لم يروا على ظهر الفرس أحسن منه كأنَّه خلق منه لا يتحرك ولا يتزلزل، وبلغني أنَّه في الحرب رابط الجأش، ثابت القدم، صليب الضرب، يقدم أصحابه عند الكَرَّة ويحمي منهزمهم عند الفَرَّة (ابن الأثير، 1963، 174).

وبناءً على ما تم تناوله من صفات نور الدين زنكي يتبين أنَّها ثمرات لإيمانه العميق على تحقيق ما عجز عنه غيره ممن كانت بلادهم وثرواتهم تزيد أضعافًا على ما كان عليه نورالدين زنكي، ولكن امتلأ قلبه بمبادئ الإسلام على نحو لا يُلَاحظ له مثيلًا إلَّا عند الأوائل من أعلام صدر الإسلام، وهذا الإيمان العميق حوَّله من أمير إلى مجاهد في سبيل الله، ومن حاكم سياسي إلى زاهد، وهو الذي أعانه على مواجهة مشكلات عصره السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتغلب عليها رغم قلة الموارد.

السمات المجتمعية لعهد نور الدين زنكي:

تشابهت السمات المجتمعية في عهد نور الدين زنكي مع ما كان عليه الحال في عهد أبيه عماد الدين زنكي، فقد كانا يعملان بمشورة العلماء ومساندتهم؛ حيث كانت لهم الكلمة النافذة، والمكانة المرموقة، والحظ الوافر في كل من الموصل وبلاد الشام في ذلك العهد.

ومن العلماء الذين كان لهم أثر بارز في الجهاد ضد الصليبيين، الحافظ المحدث ابن عساكر المتوفى سنة (571هـ)، ومن أعماله التي قام بها لينضَّم إلى العلماء المجاهدين توجيه الحديث الشريف لخدمة الجهاد ضد الصليبيين باعتباره شيخ لأول دار تخصصية تنشأ لتدريس الحديث في الإسلام، وهي دار الحديث النورية بدمشق، فقد حرص الحافظ على تدريس ما يتعلق منه بباب الجهاد، والحث على فضائله، ودراسة الأحاديث والآداب

المتعلقة به، وقد جمع لنور الدين زنكي أربعين حديثًا في فضائل الجهاد في جزء واحد لحث الناس على فضائل الجهاد والاستشهاد في سبيل الله (ياقوت الحموي، 1979، ج78/13).

لقد اهتم نور الدين زنكي بالبناء الداخلي، وكان العلماء عونًا له على ذلك، واستطاع أنْ ينقل الموقف بالنسبة للحرب مع الصليبيين من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم، حتى إنَّه بدأ يعد العدة لخوض المعركة الفاصلة معهم، فعمل أولًا على أنْ يحول دون سيطرتهم على مصر، وعندما أيقن الصليبيون أنَّ وجودهم أصبح مهددًا، فتوجهوا بأنظارهم صوب مصر وهيئوا لذلك، فأدرك القائد نور الدين زنكي ذلك، فتدخل على هذه الجبهة بنظرة إستراتيجية، وأرسل ثلاث حملات متواليات تمكنت من إحباط خططهم وإنهاء الوضع المتردي في مصر، ومن ثم إسقاط الدولة الفاطمية وتوحيدها مع الشام (ابن الأثير، 1963، 171؛ وأبوصيني،2000 ،144).

وشهدت بلاد الشام في عهد نور الدين زنكي نشاطًا علميًا لم تشهد له مثيلًا من قبل، وتدفق العلماء على حواضر الدولة وبخاصة حلب ودمشق من أطراف الأرض، ووصفت البلاد بأنها: كانت خالية من العلم وأهله، وفي زمانه صارت مقرًا للعلماء والفقهاء والصوفية (أبوشامة، 1418هـ، ج 144/2)، وأدرك نور الدين زنكي الأهمية العلمية فعمل بنفسه على توسيع نطاقها، وراح يكاتب العلماء من شتى البلاد البعيدة والقريبة، ويستقدمهم إليه ويبالغ في إكرامهم والإحسان إليهم (ابن العديم، 1954، ج293/2؛ وابن واصل، 2015، ج283/1).

ومن المنطلقات السابقة اتضحت السمات المجتمعية لعهد نور الدين زنكي، وتكمن هذه السمات في القضاء على المذهبية الدينية المتطرفة، وإجهاض التشيع والمذاهب المتطرفة في عهده، فعمل على ذلك وثابر وجاهد من أجل الحفاظ على بلاد المسلمين من خطر التشيع والرافضية، وصد هجمات الصليبيين الذين سعوا في أرض المسلمين فسادًا،

كما تمثلت أهم السمات المجتمعية لعهده في ازدهار النشاط الفكري والعلمي والثقافي والتربوي، وانتشار المدارس والمساجد والعلوم.

الفكر التربوي عند نورالدين زنكي وأثره على المجال التربوي والتعليمي:

استفاد نور الدين زنكي فيما يخص المجال التربوي والتعليمي من الجهود العلمية والتربوية التي سبقته، مما جعله يُدْرِك أنَّ التعليم هو الدعامة الأساسية لبناء المجتمع عقائديًا وفكريًا وثقافيًا، فعمد إلى بناء المساجد؛ وجعلها منابر علم وتعلم، ومن ورائها زوايا لتحفيظ القرآن الكريم، وكذا المدارس والكتاتيب لتوجيه وتوعية الأمة وتعبئتها تعبئة شاملة لمواجهة التحديات الداخلية المتمثلة في الشيعة والروافض، وخارجيًا في العدو الصليبي.

وكانت العملية التعليمية في العهد الزنكي تُدار بأسلوب مؤسسي مكون من مجلس عام يُشرف على مسار العملية التعليمية والصياغة التربوية، وكان نور الدين زنكي أحد أعضائه، كما يضم هذا المجلس نخبة من أهل الحل والعقد، وهيئة كبار العلماء، والقادة العسكريين، والفقهاء والشيوخ المستنيرين ليتدارسوا أمور الأمة الإسلامية وبما يحقق مصلحتها (صلاح الدين، 1414هـ، 334).

وقام هذا المجلس بتأسيس مئات المدارس ونشر التعليم الإسلامي في جميع أنحاء البلاد، وإقامة مئات المساجد للقيام بواجب التزكية والتحلي بالفضيلة، واستقدم آلاف العلماء، والمعلمين النابغين للقيام بالتدريس في المدارس والتوجيه في المساجد، وكان أغلبهم من خريجي المدرستين الغزالية والقادرية، وتميز مجتمع الدولة الزنكية بالوعي، وخير دليل على ذلك ما ظهر من مسارعة الوزراء والقادة والأغنياء والرجال والنساء في إنفاق أموالهم في بناء المدارس والمؤسسات التعليمية وتوفير الفرصة لجميع أفراد الأمة لدخولها والاستفادة منها، وفي السياق نهجت الخطة التعليمية آنذاك على تعليم أصول العقيدة، وأركان الدين، والقيم والمبادئ الإسلامية، مع العمل على تعرية المذاهب الهّدامة، والفرق الضالة، وبيان

خطرها على المجتمع والأمة، والخروج من تلك المحنة تأكيدًا على أنَّه لا خلاص من الفكر الشيعي إلا بالعودة إلى روح الدين النقية التي سار على نهجها السابقين من السلف الصالح اقتداءً برسول الله ﷺ في اتباع السُنَّة المطهرة (صلاح الدين، 1414ه،359).

وتظهر معالم المجال التربوي والتعليمي في عهد نور الدين زنكي وفق عدة عناصر رئيسة يأتي أهمها في مدى اهتمام نور الدين زنكي بإنشاء المدارس والكتاتيب والمكتبات، واهتمامه بالعلم وتقدير العلماء، واهتمامه بدور المعلمين وفئات المتعلمين ومدى تفوقهم وإنجازاتهم في ميادين العلوم الشرعية والاجتماعية والتطبيقية في عهده، وتتمثل هذه المعالم فيما يأتي:

الاهتمام بإنشاء المدارس:

تطورت المدارس وازداد انتشارها في زمن السلاجقة على يد الوزير نظام الملك السلجوقي، وفي هذا الصدد ذكر السبكي في ترجمته لنظام الملك ما نصه: "وبنى مدرسة ببغداد، ومدرسة ببلخ، ومدرسة بَهراة، ومدرسة بأصبهان، ومدرسة بالبصرة بمرو، ومدرسة بآمل طبرستان، ومدرسة بالموصل، ويقال إنَّ له في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة" (المزيني، 1424ه،22).

المدارس في حلب:

برزت الحركة التعليمية في حلب منذ تولى نور الدين زنكي الحكم سنة (541هـ)؛ حيث ركز نشاطه في تنفيذ سياسته التعليمية الرامية إلى مناهضة المذهب الشيعي وتقويضه، وإحياء المذهب السُّني ونشره، مما تطلب منه القيام بجهود علمية بارزة تجاه ذلك، فعمل على تشجيع العلم والعلماء عن طريق إنشاء العديد من المدارس على مختلف المذاهب السُّنية، وتوجيه التعليم وجهة سُّنية عن طريق تشجيع تدريس العلوم الشرعية، وقد استقطب العديد من العلماء لتولي مهمة التعليم وضحد الفكر الشيعي

وتحويل منابر العلم كاملة إلى المنهج السُّنِي كقاعدة أساسية (السبكي، 2008، ج389/4). ويعرض الباحث للمدارس التي بُنيت في عهد الدولة الزنكية في حلب:

- **المدرسة الحلاوية:**

كانت المدرسة الحلاوية في الأساس كنيسة من بناء هيلاربي أم قسطنطين، فلما دخل الصليبيون حلب سنة (518هـ) قاموا بقطع أشجارها وإحراق كل ما بداخلها، وقد ذكر ابن شداد أنَّ القاضي أبا الفضل بن خشاب الحلبي جعلها مسجدًا، فلما جاء نور الدين زنكي جعلها مدرسة، وبدأ في عمارتها سنة (544هـ)، وأنشأ فيها مساكن للفقهاء، وكانت هذه المدرسة من أعظم المدارس صيتًا وأكثرها طلبة وأغزرها جامِكِيّة (السبكي، 2008، ج400/4).

- **المدرسة المقدمية:**

كانت المدرسة المقدمية في الأصل كنيسة، وقد ذكر ابن شداد أنَّ الذي أنشأ المدرسة هو عز الدين عبد الملك، وكانت إحدى الكنائس الأربع التي جعلها القاضي ابن الخشاب مساجد في سنة (518هـ)، وقد بدأ في عماراتها سنة (545هـ)، وكان أول من درَّس فيها هو الشيخ برهان الدين أبو العباس أحمد بن علي الأصولي، ثم السيد الشريف الإمام العالم افتخار الدين عبد المطلب بن الفضل الهاشمي (السبكي، 2008، ج4/ 404-405).

- **المدرسة المجدية الجُوانية:**

بُنيت هذه المدرسة على يد نائب حلب مجد الدين أبو بكر محمد بن الداية في عهد نور الدين زنكي، وهذا ما ذكره ابن الشحنة (أبوشامة، 1418هـ، ج406/1).

- **المدرسة البرانية:**

ذكرها أيضًا ابن الشحنة، ونسبها إلى مجد الدين بن الداية مؤسسة الجوانية (الأسدي، 1984، 142).

- **المدرسة الزجاجية:**

أنشأها بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار الأرتقي سنة (517هـ)، وهي أول مدرسة سُنِية بحلب في وقت كان فيه المذهب الشيعي منتشر، والدليل على ذلك أنَّه كلما بنى بدر الدولة فيها شيء بالنهار أخربه الشيعة بالليل حتى أوكل أمر الإشراف عليها إلى الشريف زهرة بن علي الحسيني، فلازمها حتى انتهى البناء (المزيني، 1424هـ،84).

وجاء من بعده عماد الدين زنكي سنة 522هـ، والد نور الدين، ليزيد في وقفها للصرف على القُراء والفقهاء والعاملين بها (الحلبي، 1412هـ، 110؛ والمزيني، 1424هـ،392)، وكان من أبرر المدرسين فيها في العهد الزنكي شرف الدين أبو طالب عبد الرحمن الحلبي؛ حتى توفي سنة 561هـ، ومن ورائه حفيداه مجد الدين وزين الدين، وكانا من العلماء المتميزين الذين ساروا على نهج جدهم (السبكي، 2008، ج147/7؛ والمزيني، 1424ه، 393-394؛ والحنبلي، 1418هـ، ج324/4).

- **المدرسة النضرية النورية:**

أنشأها نور الدين زنكي سنة (544هـ)، وكان أول من تولى التدريس فيها هو الشيخ قطب الدين النيسابوري، ومن بعده مجد الدين طاهر بن جهبل، وظل يُدرس بها حتى نُقل مدرسًا إلى القدس الشريف إلى أنْ توفي سنة 597هـ (السبكي، 2008، ج372/1).

- **المدرسة العصرونية:**

كانت المدرسة العصرونية في الأصل دارًا لأبي الحسن علي بن أبي الثريا وزير بني مرداس، فلما استقر نور الدين زنكي في حلب اشتراها سنة (550هـ)، وشرع في تحويلها إلى مدرسة، وبعد أنْ أتم بنائها (ابن الشحنة، 1404ه،110)، فوض لشرف الدين عبد الله بن أبي عصرون أمر التدريس فيها، ومن ورائه الإمام الحافظ حجة الدين محمد ابن أبي محمد بن محمد بن ظفر الصقلي (المزيني، 1424هـ، 397)، وقد ذكر ابن شداد: أنَّ الإمام الحافظ حلَّ بحلب وأقام بالمدرسة العصرونية وصنف كتبًا حسنة، فلما

وقعت الفتنة بين الشيعة والسُّنَة سنة (522هـ) نُهبت كتبه ومؤلفاته، فرحل إلى حماة وأقام بها حتى توفي سنة 565ه (ياقوت الحموي، 1979،ج48/19؛ السيوطي،1384هـ، ج142/1).

- **المدرسة الشرفية:**

أنشأها الشيخ الإمام شرف الدين أبو طالب عبد الرحمن الحلبي المعروف بابن العجمي، وقد صرف على بنائها أربع مائة ألف درهم، وأوقف عليها أوقافًا جليلة (ابن الشحنة، 1404ه،112؛ والمزيني، 1424هـ، 398).

- **المدرسة الأسدية الجوانية:**

أنشأها الأمير أسد الدين شيركوه بن شاذى بمحلة الرحبة بحلب للمذهب الشافعي (المزيني، 1424ه،399).

المدارس في دمشق:

كانت أول مدرسة أُنْشِئت في دمشق هي المدرسة الصادرية الحنفية سنة 491هـ، ثم تلاها إنشاء العديد من المدارس، وقد توزعت تلك المدارس على المذاهب السُّنِية الأربعة، ولكن المذهب الحنفي والشافعي هما السائدان على مدارس دمشق في ذلك العهد (المزيني، 1424ه، 423).

- **المدرسة الصادرية:**

تعد المدرسة الصادرية من أولى المدارس بدمشق، وقد أنشأها أمير شجاع الدولة صادر بن عبد الله سنة (491هـ) داخل الباب الغربي للجامع الأموي (الدمشقي، 1367ه، ج537/1).

- **المدرسة الطرخانية:**

ذكرها ابن عساكر، فقال: مسجد بالمدرسة المعروفة بدار طرخان وهي كانت قديمًا للشريف أبي عبد الله بن أبي الحسن فوقفها سنقر الموصلي وجعلها مدرسة لأصحاب أبي حنيفة (المزيني، 1424هـ، 425).

- **المدرسة المُعينية:**

أنشأها معين الدين أنر أتابك الأمير مجير الدين آبق آخر الحكام البوريين بدمشق (المزيني، 1424هـ، 426)، وذكرها ابن عساكر ضمن مساجد دمشق، فقال: مسجد في المدرسة المعينية في قصر الثقفيين، وذكر الصفدي: أنَّ معين الدين قد أنشأ هذه المدرسة للشيخ أبي المظفر محمد بن أسعد الفقيه الحنفي المعروف بابن الحكيم العراقي مُدرسي الصادرية والطرخانية المتوفى 567هـ (الدمشقي، 1367هـ، ج203/1).

- **المدرسة النُورية الكبرى:**

أنشأها نور الدين زنكي، وذكر أبوشامة وابن شداد أنَّ هذه المدرسة تقع بخط الخّواصين والمعُروف حاليًا بسوق الخياطين بدمشق، ولقد نالت هذه المدرسة مكانة علمية كبيرة في ذلك العهد النُوري؛ حيث كانت في مقدمة مدارس دمشق، وبخاصة في عهد الملك نور الدين زنكي، وحينما تُذكر حركة التعليم في بلاد الشام في تلك العصور يُشار إلى هذه المدرسة على أنها في مقدمة دور التعليم، وتتضح أهمية هذه المدرسة في الأثر العلمي الذي قام به شيوخها ومدرسوها ومعيدوها، وفي الأعداد الكثيرة من الطلاب الذين تخرجوا منها إضافة إلى ما قامت به تلك المدرسة من نشاط سياسي واجتماعي كبير في ذلك العهد (المزيني، 1424ه، 429).

- **المدرسة الخاتونية البَّرانية:**

كانت هذه المدرسة مسجدًا أوقفته الست زمرد خاتون أم شمس الملوك سنة 526هـ، على الشيخ أبي الحسن علي البلخي المتوفى سنة 548هـ، وذكر الذهبي: أنَّ

الست زُمُرّد خاتون على قدر من الثقافة والعلم واستنسخت الكتب وحفظت القرآن وبنت الخاتونية بصنعاء دمشق، ثم تزوجها أتابك زنكي فبقيت معه تسع سنين، فلما قُتل حجّت وجاورت بالمدينة ودفنت بالبقيع (الدمشقي، 1367هـ، ج503/1؛ والذهبي، 1418هـ، ج27/3؛ والمزيني، 1424هـ،431-432).

- **المدرسة الأمِينيّة:**

بناها أمين الدولة ربيع الإسلام، وذكر النعيمي أنها أول مدرسة بُنيت للشافعية بدمشق بناها أتابك العساكر بدمشق وكان يقال له أمين الدولة، وبدأ التدريس بها سنة (514هـ).

- **مدرستي المجاهدية البرانية والجوانية:**

تُنْسَب هاتان المدرستان إلى الأمير مجاهد الدين بُزّان بن يامين أحد مقدمي الجيش بالشام في دولة نور الدين زنكي، وقد دفن فيها بعد وفاته (الدمشقي، 1367هـ، ج454/1؛ والمزيني، 1424هـ،437).

- **المدرسة العمادية:**

بناها نور الدين زنكي برسم خطيب دمشق أبي البركات بن عبد الحارثي، وهو أول من درّس بها، ونسبت للعماد الأصفهاني لتدريسه بها بعده وقد ذكر العماد خبر تدريسه سنة 567هـ (المزيني، 1424ه،438-439).

- **المدرسة العصرونية:**

تنسب هذه المدرسة للفقيه العلاّمة قاضي القضاة شرف الدين عبد الله بن محمد بن أبي عصرون، وقد بنى له مدارس عديدة بحلب وحماة وحمص وبعلبك وغيرها، وقد ذكر عنه ابن خلكان أنَّه توفي في الحادي عشر من شهر رمضان سنة 585هـ بمدينة دمشق، ودفُن بمدرسته التي أنشأها (المزيني، 1424هـ،440؛ وابن خلكان 1412هـ، ج54/3-55).

الاهتمام بإنشاء الكتاتيب والمكتبات:

اهتم نور الدين زنكي بالكتاتيب والمكتبات لإثراء الناحية العلمية، فكانت المساجد في عهده لا تخلو من المكتبات الثرية بالكتب الشرعية، ومن ثم الأمور العلمية والتطبيقية إيمانًا منه بأنَّ العلوم الشرعية هي في الأساس لإصلاح المجتمع في كافة جوانبه، ولا تتم إلا بوجود العلوم التطبيقية الأخرى.

- **إنشاء الكتاتيب:**

يطلق اسم الكتاتيب أو الكُتَّاب على المكان الذي يجتمع فيه الصبيان من طلاب العلم، وكانت تقوم مقام المدارس الابتدائية في وقتنا الحاضر، وقد اتخذ المعلمون في العهد الزنكي زوايا بالمساجد وغرفًا ملاصقة لها لتعليم الأطفال القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي، ولم ينسَ الملك العادل نور الدين زنكي الصبيان الأيتام والفقراء من المسلمين فكان لهم نصيب من العلم في كتاتيب بُنيت لهم خصيصًا، وكانت مجانية وموقوفة للصرف عليهم وذويهم (المزيني، 1424ه،120؛ والأندلسي، 1964، 245).

كما قام الكثير من القادرين ببناء المدارس وبجانبها مكاتب للأيتام، حتى إذا أتمَّ الصبي تعليمه في الكُتَّاب انتقل إلى المدرسة لمواصلة دراسته، وله الجراية المستمرة أو النفقة الواسعة إلى أنْ يُنْهِي دراسته، وشاع العمل الخيري في كثير من المدن الزنكية؛ حيث وُجِد العشرات من الكتاتيب تُنشأ ملاصقة للمدارس، أو قريبة منها (المزيني، 1424هـ،121؛ وابن خلكان 1412ه، ج83/4).

- **انتشار المكتبات:**

تُعَد المكتبات بمثابة القاعدة العامة التي تستند عليها مختلف الجهود الثقافية في أي عصر من العصور، أو مجتمع من المجتمعات، ويمكن اتخاذها كمعيار في الحكم على مدى تقدم الأمم والشعوب، وفي عهد نور الدين زنكي لا يكاد يخلو مسجد من مكتبة ضخمة تضم عددًا كبيرًا من الكتب في مختلف العلوم والتخصصات.

وكانت المكتبات أماكن للتعليم وهيئات يُنْفِق عليها الملوك، والأمراء، والأثرياء، والعلماء لنشر العلم بين الناس، خصوصًا في وقت لم يكن للطباعة أي وجود، وكانت الكتب تُنسخ بالأيدي كتابةً، فكان يتعذر على الكثيرين من طلاب العلم اقتناء الكتب، وقد قال ابن عساكر في ذلك عن نور الدين زنكي: إنَّه حصَّل الكثير من كتب العلوم ووقفها على طلابها، وأقام عليها الحفظة (المزيني، 1424ه، 154-156).

- **الاهتمام بالعلم وتقدير العلماء:**

كان نور الدين زنكي عالما يعشق العلم، ويسعى وهو في قمة السلطة إلى التشبه بالعلماء والصالحين والاقتداء بسيرة من سلف منهم (أبوشامة، 1418هـ، ج35/1)، وكان العلماء عنده في المنزلة الأولى والمحلّ العظيم (ابن واصل، 2015، ج283/1؛ وخليل، 1400هـ، 35)، وكان يحضرهم إلى مجلسه ويوقرهم ويحترمهم، وكان مجلسه بمثابة ندوة كبيرة يجتمع فيها العلماء والفقهاء للبحث والنظر، وكان نور الدين زنكي عارفًا بمذهب أبي حنيفة، ملتزمًا به، من غير تعصب منه ولا تحيُّز فالمذاهب عنده كلها سواء والإنصاف سجيته في كل شيء (ابن الأثير، 1963،163-173).

كما تولى نور الدين زنكي مهمة التحديث رغم المسؤوليات السياسية والعسكرية العظام التي تَلُف عاتقه أملًا ورجاءً في تعزيز مكانة السُّنَة ونشرها بالحفظ والأداء والتحديث (شهبة، 1971، 33؛ وابن الأثير، 1963، 166)، كما ألَّف كتابًا في الجهاد (الجوزي، والدكن، 1950، ج313/8)، كما أوقف كتبًا كثيرة في مدارسه، وكان حسن الخط كثير المطالعة للكتب الفقهية متميزًا بعقله المستنير ورأيه الثاقب (أبوشامة، 1418ه، ج36/1).

- **تقديم العلماء والجزل في العطاء:**

كان الأمراء في عهد نور الدين زنكي يحسدون العلماء والفقهاء على مكانتهم لديه، فكان إذا أجزل العطاء لأحد العلماء يقول هؤلاء جند الله وبدعائهم ننتصر على

الأعداء، ولهم في بيت المال حق أضعاف ما أعطيهم، فإذا رضوا منا ببعض حقهم فلهم المنَّة علينا (ابن كثير، 1419هـ، 122)، و لم يسلم العلماء والفقهاء من مكايد الأمراء في عهد نور الدين زنكي، ومن ذلك محاولة بعض الأمراء مكايدة الفقيه قطب الدين النيسابوري عند نور الدين زنكي بعدما استقدمه وأكرمه وأجزل له العطاء (نقلي، 2002، 123)، فلم يرَ من نور الدين زنكي إلا رد الفقيه الواعي المتوعد الناهي عما يفعلوه قائلًا في آخر حديثه معه: أنَّني والله لا أصدقك فيما تقول، وإنْ عدت ذكره أو غيره بسوء لأوذينَّك، فكفَّ عنه (ابن الأثير، 1963، 134).

لقد مكَّن نور الدين زنكي للعلماء بما خصصه لهم من أعطيات، من أنْ يتفرغوا لمهامهم العلمية، وبهذا المنهج سار على هدي عمر بن عبد العزيز، الذي وضع قانون التفرغ للعلماء والدعاة والمفكرين، كي يتيح لهم إنجاز المشاريع الفكرية الدعوية التي يعكفون عليها باختيار أو بتوجيه من الدولة، فأجرى الأرزاق على العلماء، ورتب لهم الرواتب ليتفرغوا لنشر العلم ويكفوا مؤونة الاكتساب (خليل،1400هـ، 140؛ والصلابي، 1427هـ، 265).

يتضح مما سبق أنَّ الأعمال العظيمة تحتاج إلى الهمم العالية والجهود الضخمة، ولذا ينبغي أنْ توفر الدولة كل ما يحتاجه المتفرغ وذويه من الأجر الكافي حتى يتفرغ للعطاء، ولابد من الخوف من الله تعالى عند اختيار المتفرغ.

- **اهتمامه بعلماء المدارس النظامية:**

استفاد نور الدين زنكي مما حققته المدارس النظامية من نتائج باهرة وفي مقدمتها تخريج أجيال تحمل على عاتقها مهمة الدعوة للمذهب السُّني والدفاع عنه، كما استفاد ممن تخرجوا من المدارس النظامية، ومنهم القاضي كمال الدين الشهرزوري؛ والذي كان بمثابة وزير له، والقاضي شرف الدين بن أبي عصرون الذي أنشأ له نور الدين زنكي عدة مدارس في أماكن مختلفة، والعماد الأصفهاني الذي عمل مدرسًا في بعض مدارس دمشق إلى جانب قيامه برئاسة ديوان الإنشاء لنور الدين زنكي في فترة من الفترات، والقطب

النيسابوري الذي كان له دور في نشر السُّنَة بحلب عن طريق التدريس بالمدرسة النفرية النورية بها، وعبدالرحيم بن رستم أبو الفضائل الزنجاني الشافعي الذي ولاه نور الدين زنكي قضاء بعلبك ودرَّس ببعض مدارس دمشق، وعليه فقد شارك الكثير من العلماء والفقهاء في الجهود التي قام بها نور الدين زنكي لتمكين المذهب السُّنِي بالشام (بدوي، 1408هـ، 223).

- **المُعلمين والمُتعلمين في عهد الدولة الزنكية:**
- **معلمو الكتاتيب والشروط المُتطلبة فيهم:**

أُطْلِق اسم مُعلم أو مؤدب الكتاتيب على مُعلم الصبيان في عهد نور الدين زنكي، ويُعد مُعلم الكُتَّاب في ذلك الوقت بمثابة مُعلم المرحلة الابتدائية في العصر الحالي؛ حيث يتولى المعُلم الإشراف على تربية وتوجيه الصبيان وتأهيلهم بالعلوم الأساسية لإعدادهم للمرحلة الأعلى، وحظي المعُلمون في العهد الزنكي بمكانة عالية والجزل في العطاء بحيث تمتع مُعلمو الكتاتيب بمركز مالي جيد في الكتاتيب الموقوفة؛ إذ وفر لهم الواقفون رواتب شهرية تُصرف لهم من إيراد الوقف (بدوي، 1408هـ، 169)، وذلك لأداء رسالتهم في توجيه اللبنة الأولى في التعليم على النهج السليم لإعدادهم منُذ صغرهم ليتخرجوا صحيحي العقيدة سليمي الذهن، متأثرين بالتوجه الإسلامي المبني على السُّنَة المطهرة (المزيني، 1424هـ، 166).

ويشترط في مُعلم الكُتَّاب أنْ يكون حافظًا لكتاب الله، مُلمًا ببعض علوم اللغة وأصول الحساب والخط (ابن الحاج،1421هـ، ج317/2)، هذا إلى جانب كونه من أهل التقوى والورع والعفة، كما استحب المربون في معلم الكُتَّاب أنْ يكون كبير السن (المزيني، 1424هـ، 167)، وممن اشتهروا ببراعته في الأدب والشعر وحسن الخط الشيخ علي بن منصور السُرُوجي المتوفى سنة 572ه (الجوزي، والدكن،1950، ج168/8).

- **المدرسين والنُظار والشروط المُتطلبة فيهم:**

وضُع نظام التدريس في العهد الزنكي على أساس أنْ يكون لكل مدرسة عددًا من المدرسين، ويختص كل واحد منهم بتدريس مادة أو أكثر، ويشرف عليهم شيخ يسمى ناظر المدرسة، ويشترط أنْ يكون الناظر من خيار المدرسين، وأشهرهم ومن الذين بلغوا درجة عالية من النضج العلمي، والقدرة العالية في مجال التأليف، وقد عني النظام التعليمي في العهد الزنكي باختيار العلماء الأفذاذ للتدريس، ومن يتمتعون بالسمعة الحسنة، وأنْ يكون المدرس سليم العقيدة حتى يتوافق مع التوجه الديني الشامل للدولة (المزيني، 1424هـ،170).

وكان يحق للمدرس أنْ يستنيب من يقوم بالتدريس مكانه في إحدى المدارس، ومن هنا ظهر منصب نائب المدرس، وهو أعلى من رتبة المعيد، وأقل من رتبة المدرس، ومن ذلك أنَّ القاضي شرف الدين بن أبي عصرون درس بالمدرسة الأمينية بدمشق، وأناب عنه في بعض وقته الفقيه أبا الفضائل الدمشقي، وفيما يخص رواتبهم فكانوا يتقاضونها من وقفية المدرسة (الدمشقي، 1379ه، ج178/1؛ والمزيني، 1424هـ،176-178؛ والسبكي، 2008، ج186/7).

- **المُعيدون والشروط المتطلبة فيهم:**

ظهرت وظيفة المعيد في تاريخ التعليم عند المسلمين مع ظهور المدارس وتطور وظائفها في منتصف القرن الخامس الهجري، وفيما يخص الشروط المتطلبة فيهم فهي لا تخرج عن الشروط السابقة بالنسبة لمُعلم الكتاتيب إضافة إلى شروط المدرسين والنظار، بالإضافة إلى عامل التوسع في المناهج والخبرة المتراكمة لدى المعيد مع الالتزام التام بمناهج الشريعة الإسلامية المتركزة على المذاهب السُّنِية في العهد الزنكي (المزيني، 1424هـ، 179).

- **المُتعلمين (الذكور، والإناث):**

تتكون فئات المتعلمين من الطلاب الذكور والإناث، وتتم المراحل التعليمية للطلاب من خلال:

المرحلة الأولى:

اهتمت المرحلة الأولى بتعليم صغار المسلمين القرآن الكريم، ومبادئ الدين الإسلامي، وبعض العلوم البسيطة مثل: الكتابة، والحساب، وما يستحسن من بعض الأشعار، وفي ذلك حدد ابن الجوزي أنَّه ومتى اعتدل المزاج وتكامل العقل، أوجب ذلك يقظة الصبي، فإذا بلغ خمس سنين أخذ يحفظ العلم (المزيني، 1424هـ، 193)، وقد ذكر ابن العربي أنَّ: للقوم في التعليم سيرة بديعة، وهو أنَّ الصغير منهم إذ عقل، بعثوه إلى المكتب، وتختلف المدة التي يقضيها الطفل في الكُتَّاب باختلاف استعداده أو وصوله سن البلوغ، فحين يصل الصبي سن البلوغ يترك الكُتَّاب أي ما بين سن الثانية والخامسة عشر (المالكي، 1421ه، ج1895/4؛ والمزيني، 1424هـ، 193).

وفيما يخص منهج الدراسة في المرحلة الأولى، فقد تعددت أساليبه؛ حيث كان أول ما يعلمه المؤدب للصبي السور القصار من القرآن الكريم بعد حذقه بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل، ويُدرِّجه في ذلك حتى يألفه طبعه، ثم يعرفه عقائد أهل السُّنَة والجماعة، ثم أصول الحساب، وما يستحسن من المراسلات والأشعار دون سخيفها ومسترذلها (الشيرازي، 1426ه،103).

ويذكر ابن جبير عند الحديث عن تعليم الصبيان في دمشق أنَّ سور القرآن لم تستعمل في تعليم الأطفال الكتابة، وإنما استعملت أبيات من الشعر لهذا الغرض، وأنَّ تعليم القرآن والكتابة لا يقوم بهما مدرس واحد، وإنما يخصص معلم لكل منهما على حدة، فإذا فرغ الصبي من التلقين التحق بالكُتَّاب الخاص بتعليم الخط (الأندلسي، 1964، 245؛ والمزيني، 1424ه، 199).

يتضح مما سبق أنَّ المنهج والوسائل في هذه المرحلة من مراحل التعليم في العهد الزنكي تميزت بالبساطة، والتدرج في إكساب المعلومات، والحرص على التربية الأخلاقية، إلى جانب التحصيل العلمي المناسب لأعمارهم.

المرحلة العليا:

يُطْلَق على فئة الطلاب من المرحلة الرابعة لقب الفقهاء، وقد غلب إطلاق هذا اللقب في العهد الزنكي على طلاب المدارس، وتُصنف هذه الفئة إلى طلبة عارضين، وطلبة منتظمين، فالطلبة العارضين هم من يشغلون الحرف، ويحضرون مجالس العلم بين الحين والآخر، وهم ضعف ما يحضرون المجالس العلمية من الطلبة المنتظمين، فالطلبة المنتظمون يكرسون حياتهم لطلب العلم وحده (المزيني، 1424هـ،201).

وكانت المساجد تقوم بالتدريس، ويُحَدد فيها عدد الطلاب الذين يسمح لهم الالتحاق بها كما حصل في المدرسة النورية بالموصل؛ حيث حدد واقفها نور الدين أرسلان شاه عدد الطلاب بستين طالبًا من فقهاء الشافعية، وكذلك في المدرسة العصرونية بدمشق والتي شرط فيها واقفها ألَّا يزيد عدد طلبتها على عشرين طالبًا من الشافعية وغيرهم (المزيني، 1424ه، 202).

وكان طلاب العلم يحصلون على مرتبات ونفقات تحصل في الغالب من موارد الوقف المخصص للحلقة أو المدرسة، كما كانت عليه المدرسة العُزية بالموصل والحلاوية بحلب والنورية الكبرى في دمشق، وغالبًا ما يزدحم الطلبة على مثل هذه المدارس لغنى مخصصاتها، كما حرص الواقفون في العهد الزنكي على توفير كافة احتياجات الطلبة الدارسين فيها وبالأخص المسكن الملائم لهم كي يجد الطلبة الغرباء، والفقراء المناخ المناسب لتلقي العلم (المزيني، 1424هـ، 204).

لقد أكدت المدارس في العهد الزنكي أنها منارات للعلم ومنابر حقيقية للآداب والتوعية والتوصية، فكانت تُسْدِي لهم النصائح والتوجيهات والوصايا التي تحمل في طياتها

عمق المعرفة، وحب الخير، ونزاهة الحاجة وحسن المقصد، ومن أهم تلك الوصايا ما يأتي (ابن جماعة، 1417ه، 68-75؛ والمزيني، 1424هـ، 205-206):

- أنْ يخلص الطالب نيته في طلب العلم؛ وذلك بأنْ يقصد بعلمه وجه الله تعالى والعمل بما يعمل، وأنْ يحذر أنْ يكون هدفه الأصلي من علمه طلب الرئاسة والمال والجاه.
- أنْ يحرص الطالب على وقته بأنْ يبادر باغتنام فرصة الشباب لاكتساب العلم، وأنْ يعلم بأنَّ كل ساعة تمضي من عمره لا عوض لها، لذلك يجب على طالب العلم أنْ يقلل من الانشغال عن الدراسة قدر الإمكان.
- أنْ يصبر ويثبت على أستاذ وعلى كتاب، حتى لا يتركه أبتر، وعلى فن ولا يشتغل بفن آخر قبل أنْ يُتقن الأول، وعلى بلد ولا ينتقل إلى بلد آخر من غير ضرورة، فإنَّ ذلك كله يفرق الأمور، ويشغل القلب، ويُضيع الأوقات.
- أنْ يلتزم بالورع في جميع شؤونه، وأنْ يتحرى الحلال في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه، وفي جميع ما يحتاج إليه، وذلك ليستنير قلبه ويصلح لقبول العلم ونوره والنفع به.

أما الوصايا التي تتصل بالعلاقة بين الطالب وأستاذهم، فإنَّ هناك جملة آداب كفلت للمدرس حق الاحترام والطاعة، ويمكن إيجازها على النحو الآتي (ابن جماعة، 1417هـ، 90-108):

- أنْ يكون الطالب كامل الهيئة متطهر البدن والثياب إذا دخل على معلمه، ويستأذنه في الدخول وكذلك في الانصراف، وأنْ يكون دخوله لقاعة الدرس قبل حضور المدرس.
- أنْ يجلس بين يدي أستاذه بأدب مصغيًا إليه بانتباه، وألَّا يتشاغل أثناء الدرس ولا يكثر حركة يديه، ولا رجليه ولا يعبث بشيء، أو يكثر الكلام بغير حاجة إلى غير ذلك من الأخلاق الذميمة.

- أنْ يُحسن مخاطبة معلمه، وألَّا يقاطعه، أو يخالفه، وأنْ يتلطف في سؤاله، وأنْ يحذر من تكرار السؤال، وألَّا يسبق المعلم إلى شرح مسألة أو جواب سؤال منه أو من غيره.
- أنْ يدعو الطالب لمعلمه مدة حياته، ويرعى ذريته وأقاربه بعد وفاته، ويستغفر له ويتصدق عنه.

المُتعلمين من الإناث:

لم تُهْمَل المرأة في عهد نور الدين زنكي في المجال التعليمي، فلم يكن لها الحق في التعليم فقط بل كان لها أيضًا الحق في نشر التعليم، وقد شاركت المرأة في ذلك، وإنْ لم تتسلم وظيفة التدريس في المدارس التخصصية بالشكل المعروف اليوم، فقد أشار ابن عساكر، لمثل هذه المشاركة في ترجمته لفاطمة بنت سهل بن بشر المدعوة سِت العجم من أنها: تعلمت على يد والدها أبا الفرج وكانت تعظ النساء في المساجد، وتصدرت فاطمة الفقيهة للتدريس في حلب وألفّت مؤلفات عديدة في الفقه والحديث، كما استشارها الملك نور الدين زنكي في بعض أموره، واستفتاها في بعض المسائل الفقهية وكان دائمًا يبذل لها ويعينها على مواصلة نشاطها العلمي (الدعجاني، 1403هـ، 288؛ والمزيني، 1424هـ، 215-216).

• طرق الحصول على الألقاب والإجازات العلمية:

لم يكن في العهد الزنكي ما يُعْرف بامتحانات نهاية الدراسة، ولكن كان الطلاب يمنحون من الأساتذة شهادات أو إجازات تُفيد بأنَّ الطالب قد أتم دراسة منهج معين، وتحت إشراف الشيخ، والغرض من الإجازة الإقرار بكفاية الطالب واجتهاده، وانكبابه على العلم، وتفرغه للدراسة والبحث، وكانت الإجازات العلمية شهادات شخصية يمنحها الشيوخ لمن يرون فيه الكفاية ولا علاقة لها بمنظمة تعليمية معينة كما هو عليه الحال في الوقت الحاضر، وإذا كانت الإجازة إقرارًا بأنَّ الطالب قد أتم دراسة كتب معينة، أو إقرار له بصلاحيته للتدريس، أو الفتوى بناء على مجهود علمي قام به فهي بذلك تعُد أحد

أساليب التقويم، كذلك إذا كانت ألقاب العلماء تعني المكانة العلمية التي بلغها العالم أو المدرس بالنسبة لعلماء عصره فهي أيضًا تعد من أساليب التقويم، وقد انحصرت أساليب التقويم في العهد الزنكي في هذين المعيارين، الإجازات العلمية، والألقاب العلمية مثل: الإمام، والحافظ، والشيخ، والفقيه، والمحدث، والمقرئ (المزيني، 1424هـ،231).

- **ميادين العلوم الشرعية والاجتماعية والتطبيقية في عهد الدولة الزنكية:**

شملت النهضة العلمية في العهد الزنكي مختلف العلوم، فلم يقتصر الاهتمام على العلوم الشرعية واللغوية والأدبية دون غيرها، وإنْ كانت الصيغة العامة لمدارس الزنكيين الاهتمام بدراسة مذهب أو أكثر من المذاهب السُنّية، لكونه جزءًا من الأهداف التي أنشئت من أجلها هذه المدارس، والتي ركزت اهتمامها على نشر المذهب السُّني ومقاومة المذهب الشيعي الذي كان منتشرًا في مصر وبلاد الشام إبان فترة خضوعها للدولة الفاطمية الشيعية.

و لم يقتصر التعليم على تدريس الفقه أو غيره من فروع العلوم الشرعية وما يتصل بها من العلوم اللغوية والأدبية فقط، وإنما كانت هناك مدارس علمية تُدَّرس فيها مختلف التخصصات العلمية، فقد نالت ميادين علمية كثيرة نصيبًا من اهتمامات الدارسين والباحثين، وقدمت فيها دراسات علمية رائدة، وصنفت فيها كتب مهمة، اعتمد عليها كثير ممن جاء بعدهم؛ حيث ظهرت دراسات متخصصة في العلوم التاريخية والجغرافية وعلوم الرياضيات والفلك، إضافة إلى تدريس الطب في كثير من البيمارستانات المنتشرة في المدن الزنكية، وظهر من بين المشتغلين بهذه التخصصات علماء كان لهم أثر كبير في إثراء المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات المتخصصة التي ظلت رافدًا للعلوم الإسلامية حتى العصر الحاضر (المزيني، 1424هـ،237). ومن أهم ميادين العلوم في عهد الدولة الزنكية:

- **ميادين العلوم الشرعية:**

كانت الغلبة في ميادين العلوم في العهد الزنكي للعلوم الشرعيّة من قراءات، وتفسير، وحديث، وفقه وأصوله، ثم علوم اللغة العربية وآدابها، ويتفق هذا الأمر مع ترتيب العلماء للعلوم حسب أهميتها، فقد رتبوها إلى علوم شرعية وعلوم أخرى تخدمها وتوضحها، وقد ذهب الإمام الماوردي المتوفى سنة 405هـ إلى أنَّ أفضل العلوم هي علوم الدين، ووافقه الرأي ابن جماعة عندما قال: إذا تعددت الدروس قُدِّم الأشرف فالأشرف، والأهم فالأهم، فيُقَدَّم تفسير القرآن، ثم الحديث، ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم المذاهب، ثم الخلاف، أو النحو أو الجدل (الماوردي، 1398هـ، 44؛ وابن جماعة، 1417هـ،36)، وتشتمل العلوم الشرعية على فروع عديدة منها:

- **علم القراءات في القرآن الكريم:**

كان علم القراءات في العهد الزنكي من أهم العلوم التي تُدَّرس في دور التعليم المختلفة، كما ظهر عديد من علماء القراءات الذين كانت لهم مصنفات مهمة في القراءات في العهد الزنكي، ومن أمثلة ذلك: عبد العزيز بن علي بن محمد بن سلمة أبو حميد، وأبو الأصبغ السماني الإشبيلي المعروف بأبي الصحَّان، وهو أستاذ كبير وإمام محقق بارع مجود (المزيني، 1424هـ،240)، وكانت له مصنفات مهمة في القراءات منها كتاب: الوقف والابتداء، وكتاب: مرشد القاري إلى تحقيق معالم المقاري، والذي قال عنه ابن الجزري: لا يعرف قدره إلا من وقف عليه (ابن الجزري، 1990، ج395/1).

- **علم تفسير القرآن الكريم:**

كان التفسير مادة أساسية في دور التعليم في العهد الزنكي، وبرز فيه علماء أجلاء تركوا آثارًا زاخرةً في هذا العلم، وكان من أبرزهم الإمام الحافظ حجة الدين محمد بن أبي محمد بن ظفر الصقلي المتوفى سنة 565هـ، وذكر عنه ياقوت الحموي من التصانيف في التفسير: كتاب التفسير الكبير، وينبوع الحياة، وكان أبرز المفسرين هو علي بن إبراهيم الغزنويّ المتوفى في حلب سنة 582هـ، وكان قد تلقى تعليمه في بغداد على إمام التفسير

في عصره محمود بن عمر بن محمد الزمخشري المتوفى سنة 538هـ صاحب الكشاف في التفسير، وكانت له مؤلفات عديدة في التفسير والفقه واللغة والأصول، وكان أشهر ما ألفه في التفسير سنة 572هـ كتاب: تقشير التفسير (الذهبي، 1418هـ، ج53/3؛ وحاجي خليفة،1419ه، ج466/1؛ والمزيني، 1424هـ، 245).

- **علم دراسة الحديث وتأليفه:**

بلغ من حرص نورالدين زنكي على هذا العلم أنْ صنَّف كتابًا في فضائل الجهاد وأحاديثه وهو بدمشق، وقد زاد الاهتمام بهذا العلم؛ حيث ظهر في العهد الزنكي عدد كبير من رجال الحديث الذين أفنوا أعمارهم في جمعه وتصنيفه وضبطه وتنقيحه، ومنهم علماء جمعوا تراجم مُستفيضة لرجال الحديث في جميع العصور، وكان لهؤلاء العلماء فضل لا ينكر في الكتابة والتصنيف في هذا الفرع من العلوم الشرعية (الجوزي، والدكن، 1950، ج248/8)؛ والمزيني، 1424هـ، 249)، ومن أبرز هؤلاء العلماء: الحافظ بن عساكر الذي شارك في جمع أربعين حديثًا في فضائل الجهاد في جزء واحد (ياقوت الحموي، 1979، ج78/13)، وعكف ابن الجوزي على مصنفًا جمع فيه أحاديث الجهاد وفضائله في كتاب أسماه البحر النوري (الجوزي، والدكن، 1950، ج249/8)، كما قام الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن الأثير الجزري المتوفى 606هـ بتصنيف علوم عديدة كان منها علم الحديث، وكان أهمها جامع الأصول في أحاديث الرسول، وفي ذلك ذكر ياقوت الحموي أنَّه جمع فيه بين البخاري ومسلم والموطأ وسنن أبي داود وسنن النسائي والترمذي، عمله على حروف المعجم، وشرح غريب الحديث ومعانيها وأحكامها، ووصف رجالها ونبَّه على جميع ما يُحتاج إليها منها ثم قال: أقطع قطعًا أنه لم يُصنَّف مثله قط ولا يصنف (ياقوت الحموي، 1979، ج76/17؛ والمزيني، 1424هـ، 252).

- **علم الفقه وأصول الدين في المذاهب الأربعة:**

عمل العلماء على جمع آثار من سبقهم كل بحسب مذهبه الذي ينتمي إليه من المذاهب السُّنية الأربعة: الحنفي، والشافعي، والحنبلي، والمالكي ورجحوا بين الروايات وخرَّجُوا الأحكام، وبنوا فتاويهم على شتى المسائل والفروع من أصول أئمتهم وقواعدهم وفتاويهم، وقد برز في عهد نور الدين زنكي علماء أجلاء في الفقه وأصوله كان لبعضهم أبحاث رائعة ودراسات جليلة، ونظرات صائبة في دراسة الفقه الإسلامي وأصوله (المزيني، 1424ه، 254-255).

ومن أبرز هؤلاء العلماء في المذهب الشافعي الإمام القاضي أبو الفضل كمال الدين محمد بن أبي عبد الله بن أبي المظفر القاسم الشهرزوري، وقد وُصِف بأنَّه كان فقيهًا أديبًا شاعرًا كاتبًا فكِه المجالسة، يتكلم في الخلاف والأصول، هذا بالإضافة إلى شهرته في السياسة وأصول الحكم والكرم (ابن خلكان، 1412هـ، ج4/ 242؛ والسبكي، 2008، ج121/6).

وممن برز في المذهب الحنفي الشيخ عبد الغفار بن لقمان بن محمد أبو المفاخر الكُردي الملقب بتاج الدين، والذي ترك من ورائه آثارًا جمة في الفقه وأصوله، ففي الفقه شرح الجامع الصغير في الفروع للإمام المجتهد محمد بن الحسن الشيباني الحنفي المتوفى سنة 187هـ، وكان يذكر لكل باب أصلًا ثم يخّرج عليه المسائل، وجمع المسائل التي يتحير في حلها العلماء في كتابه حِيرة الفقهاء، وفي أصول الفقه شرح كتاب أستاذه ركن الدين عبد الرحمن بن محمد الكرماني الحنفي المتوفى سنة 543هـ الموسوم بالتجريد في كتابه المفيد والمزيد (عبد القادر الحنفي، 1987، ج444/2؛ وحاجي خليفة، 1419هـ، ج61/1؛ والمزيني، 1424ه،258).

- **ميادين العلوم الاجتماعية:**

اهتم العلماء في عهد نور الدين زنكي بالدراسات الاجتماعية، وبخاصة الدراسات التاريخية والجغرافية؛ حيث برز العديد من المؤرخين الذين تنوعت اهتماماتهم في مختلف

صور الكتابات التاريخية، كما اشتهر عدد من علماء الجغرافيا والرحالة الذين أثروا هذا الجانب بمؤلفات جديدة ومهمة.

وإذا كان التأليف في فضائل الجهاد والاهتمام بالدراسات الشرعية والأدبية المتعلقة به يجد تفسيره في الوجود الصليبي في المنطقة، فإنَّ الاهتمام بالدراسات التاريخية والجغرافية يرجع للسبب نفسه، وقد تمثل هذا الأثر في ظهور دراسات متخصصة لها طابع الجهاد الإسلامي ضد العدوان الصليبي في المنطقة؛ حيث وجد المتخصصون في هذا الفرع من العلوم مادة زخرت بها مؤلفاتهم في الجهاد عن طريق الكتابات التاريخية التي تؤرخ للمعارك بين المسلمين والصليبيين، وأيضًا في الكتابة في فضائل المدن، وتراجم الشخصيات البارزة في مجال الجهاد، كما ظهر ذلك الأثر في كتابات الرحالة الذين زاروا المنطقة ووصفوا الأوضاع العامة التي كان يعيشها المسلمون إلى جانب الصليبيين فيها، كما اهتموا بتحديد البلدان وخططها وقد أصبحت المنطقة الزنكية بسبب الوجود الصليبي فيها مركز الاهتمام السياسي والاقتصادي والفكري في العالم الإسلامي؛ حيث كانت تلك الدولة تمثل مركز اليقظة الإسلامية في مواجهة العدوان الصليبي في المنطقة، إضافة إلى استقطاب قادة هذه الدولة العديد من العلماء الأعلام من كافة المناطق الإسلامية مما كان له أثر في تطور العلوم ونشاطها (المزيني، 1424ه،317).ومن أبرز الجهود الآتي:

- **علم التراجم والمعرفة:**

لقد عنى المؤرخون عناية فائقة في علم التراجم والمعرفة عن طريق تناولها بالكتابة التاريخية، فما أنْ يظهر أحد من المتخصصين في أي فرع من فروع العلم والمعرفة؛ إلَّا وتناولته كتب التراجم بالكتابة عن تفصيلات حياته ودراسته وتنقلاته وشيوخه وتلامذته وإسهاماته العلمية في مجال التأليف والتدريس، وتعد هذه المؤلفات من المصادر المهمّة للتاريخ الإسلامي، إذ إنها تزود الباحث في التاريخ بمادة تاريخية خصبة (المزيني، 1424هـ،319).

ويعُد الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي المعروف بابن عساكر من أبرز العلماء الذين اهتموا بالكتابة على هذا المنهج في هذا العهد، إذ كان اهتمامه منصبًا على الحديث، وتراجم العلماء وبخاصة رجال الحديث طوال حياته، وقد أصدر كتابه "تاريخ دمشق"، ويشمل هذا الكتب التاريخ العلمي والثقافي لمدينة دمشق، وهو من أحد أشهر كتب التراجم بعد كتاب "تاريخ بغداد" للحافظ أبي بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى 463هـ (المزيني، 1424ه،320).

وممن كتب في التراجم واشتهر أيضًا في عهد نور الدين زنكي أبو عبد الله عماد الدين محمد بن صفي الدين أبو الفرج المعروف بالعماد الأصفهاني الكاتب، والذي صنف الموسوعة المشهورة عن أدباء وشعراء العصر أي كتاب "خريد القصر وجريدة العصر"، والذي أرَّخ فيه لشعراء وأدباء زمانه في كافة الأقطار الإسلامية، كما اشتهر ابن الأثير، فقد كان مؤلفًا نشيطًا بارعًا، ومن أشهر كتبه: "الكامل في التاريخ"، و"اللباب في تهذيب الأنساب"، و "التاريخ الباهر في الدولة الزنكية"، و "أسد الغابة في معرفة الصحابة"، الذي أورد فيه ما يربو على سبعة آلاف وخمس مئة ترجمة (ابن خلكان، 1412هـ، ج349/3 ؛ والمزيني، 1424ه،324-325).

- **علم التأريخ الإقليمي والمحلي والعالمي:**

علم التأريخ هو علم صادق يُعبر عن ارتباط المؤرخ بوطنه، فلقد لقي هذا الاتجاه إقبالًا كبيرًا من المؤرخين في العهد الزنكي، وظهر العديد من المؤلفات المهمة في هذا الإطار، ومن أبرز ممن كتب في علم التأريخ أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي المتوفى سنة 555هـ، وكان له عناية بالحديث، وكان أديبًا له خط حسن ونظم ونثر، وقد استفاد ابن القلانسي من عمله في ديوان الإنشاء بدمشق، فاطّلع على الوثائق الرسمية بمختلف أنواعها مما أكسب تاريخه أهمية خاصة بالنسبة لأحداث عصره، ومن أشهر مؤلفاته وهو أول تاريخ لدمشق صنف حسب الحوادث والحوليات، ثم هو المصدر الأساسي لتاريخ الشام أيام الفاطميين والسلاجقة فيه أقدم سيرة لدمشق وأهلها من

النواحي العمرانية والاجتماعية والعقدية والسياسية وذلك خلال قرنين حاسمين، و لم يقتصر به هذا الكتاب على تاريخ دمشق بل عالج فيه مؤلفه كثيرًا من الحوادث السياسية التي وقعت في الشام، والعراق والجزيرة، ومصر، ولكنها بصورة مقتضبة، فضلًا عن اهتمامه بأحوال الإمارات الصليبية في بلاد الشام وما كان يدور بينها وبين القوى الإسلامية في المنطقة من نزاع مستمر (المزيني، 1424ه، 325-326؛ والذهبي، 1402هـ، ج20/ 389).

ومن المؤرخين في التاريخ المحلي، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن الأثير الجزري، وقد صنف كتاب "تاريخ الموصل"، والمعروف "بالتاريخ الباهر في الدولة الأتابيكية"، وهو تاريخ للدولة الزنكية بالموصل عرض فيه ابن الأثير بالإضافة إلى الأخبار السياسية تفاصيل منوعة اقتصادية واجتماعية وثقافية عن الموصل من مطلع عماد الدين زنكي سنة 521هـ، وحتى وفاة الملك نور الدين أرسلان شاه سنة 607هـ (المزيني، 1424ه، 328).

ومن المؤرخين في التاريخ العالمي ابن الأثير، وكأن أهم كتاب له في هذا العهد هو "العصر الكامل في التاريخ"، قد ألفه ابن الأثير على طريقة الحوليات، ابتدأ فيه بأول الزمان حتى وصل به إلى سنة 628هـ، وقد تحرى ابن الأثير الحقيقة والدّقة فيما كتب، وحاول الابتعاد عن الإسهاب وتكرير الروايات، ثم إنه راعى التوازن في كتابه لتاريخه بين أقاليم العالم الإسلامي، فلم تصرفه الأحداث التي ألَّمت بالمشرق عما كان يجري بالمغرب من تطورات، وقد تابع ابن الأثير في كتابه الكامل المعلومات التاريخية التي أوردها الإمام محمد بن جرير الطبري في تاريخه متابعة دقيقة إلى حد بعيد فلخَّصها، ثم أضاف إليها الكثير من المعلومات، وبخاصة تلك التي تتعلق بالفترة التالية لتوقف الطبري عن الكتابة وبذلك احتل ابن الأثير مكانة مرموقة بين المؤرخين المسلمين، واتخذ كتابه طابع التاريخ العام أكثر من أي تاريخ عام غيره (المزيني، 1424ه،329).

- **علم الجغرافيا (الرحلة والكشف الجغرافي):**

تُعد الرحلات وزيارة الأقطار المختلفة من أهم وسائل المعرفة الجغرافية، ولقد كان لعدد من علماء العهد الزنكي أثر في الدراسات الجغرافية، وبخاصة ماله صلة بالرحلات الجغرافية من أشهرهم: أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي الموصلي المتوفى سنة 611هـ، الذي قضى معظم حياته بالتجوال والرحلات حتى لقب بالسائح، وأبو الحسن الهروي الذي ولد بالموصل، ومنها انطلق برحلاته إلى الشام، والعراق، واليمن والحجاز، ومصر، وبلاد الروم وبعض جزر البحر المتوسط مثل صقليّة، وقد تنقل خلال رحلاته في أرجاء المدن المختلفة وتكلّم عن مشاهدها ومساجدها وخالط أهلها، والتقى بالعلماء وأخذ عنهم، ولم يكن في تجواله مقتصرًا على طلب العلم فقط، بل إنه وثّق علاقاته مع عدد من الجغرافيين المعروفين في عصره (ابن خلكان، 1412هـ، ج348/3؛ والمزيني، 1412هـ، 332).

قال عنه ابن خلكان: طاف البلاد وأكثر من الزيارات، وكاد يطبق الأرض بالدوران، فإنَّه لم يترك برًا ولا بحرًا، ولا سهلًا ولا جبلًا من الأماكن التي يمكن قصدها ورؤيتها إلا رآه، ولم يصل إلى موضع إلا كتب خطه في حائطه ولقد شاهدت ذلك في البلاد التي رأيتها مع كثرتها، وقد ألف أبو الحسن الهروي كتابه: الإشارات إلى معرفة الزيارات (ابن خلكان،1412ه، ج346/3؛ والمزيني، 1412ه، 333؛ وكراتشكو فسكي، 1961، 323).

- **ميادين العلوم الطبيعية:**

تتضمن العلوم الطبيعية علم الرياضيات والفلك، ونالت تلك التخصصات اهتمامًا عظيمًا في العهد النوري من العديد من علماء هذا العصر، فبرعوا في علم الحساب وصنَّفوا فيه المصنفات، بحثوا فيها الأعداد وأنواعها خواصها وتوصلوا إلى إضافات ونتائج أثارت إعجاب علماء الغرب فاعترفوا بفضلهم وأسبقيتهم، كما قام علماء الغرب بترجمة العديد من كتب المسلمين مما كان له أثر كبير في تقدم هذا العلم، كما اشتغل عدد من العلماء

بعلم الجبر وأتوا فيه وأضافوا فيه وسبقوا أيضًا، وفي ذلك قال كاجوري إنَّ العقل ليدهش عندما يرى ما عمله العرب في الجبر (طوفان، 1382هـ،61).

- **علم الرياضيات (الجبر والهندسة):**

كانت العلوم الرياضية من حساب وجبر وهندسة من العلوم التي كانت تدرس في بعض المدارس الزنكية، كما أنَّ هناك تنقلات ورحلات بين المناطق الزنكية لتحصيل هذه العلوم من العلماء البارعين في هذا المجال، ومما ساعد على تشجيع هذا الفرع من العلوم حاجة الفقهاء الماسة إلى علمي الحساب والجبر في تقسيم المواريث أو ما يسمى بعلم الفرائض، وكذلك الحاجة إلى هذه العلوم في معرفة المواقيت واتجاه البلدان لإقامة الصلاة، كما ظهرت الحاجة إليها في حسابات الدواوين، وفي بعض الأمور الإدارية الأخرى ومن علماء العهد الزنكي البارزين في ميدان الرياضيات، كمال الدين أبو الفتح موسى بن أبي الفضل يونس بن محمد بن منعة الموصلي المتوفى 639هـ، وقد ذكر ابن خلكان أنَّه كان بدمشق سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وبها رجل فاضل في علوم الرياضة، فأشكلت عليه مواضع في مسائل الحساب الجبر والمقابلة والمساحة وإقليدس، فكتب جميعها في درج وسيّرها إلى الموصل، ثم بعد أشهر عاد جوابه، وقد كشف عن خفيها وأوضح غامضها، وذكر ما يعجز الإنسان عن وصفه (ابن خلكان، 1412هـ، ج315/5؛ والمزيني، 1412ه،336).

- **علم الفلك:**

عُرف علم الفلك قديمًا بعلم الهيئة، ويدخل فيه دراسة الأجرام السماوية من النجوم والكواكب وأحوالها وأبعادها وحركاتها وحساب الأيام والشهور والسنين والفصول على أساس تلك الحركات، وتحويل السنين من القمرية إلى الشمسية وبالعكس، والرياح والأمطار، وكسوف الشمس، وخسوف القمر، وتُعد الموصل مركزًا له أهمية خاصة في علوم الرياضيات والفلك في العهد الزنكي (المزيني، 1412هـ،339-341).

وكانت أبرز الجهود التي بذلت في العهد الزنكي قد تركزت في الموصل، وكان الشيخ كمال الدين موسى بن يونس بن منعة في مقدمة العلماء الذين نشطوا في هذا الميدان، فقد قام بتدريس أصول هذا العلم لطلابه في المدارس التي درّس بها، وصنف في هذا العلم، ومما ينسب إلى كمال الدين في هذا العلم، أنَّه قد عرف أشياء كثيرة في قوانين تذبذب الرقاص والمعروف ببندول الساعة في الوقت المعاصر، وفي ذلك ذكر طوقان: أنَّ كمال الدين قد سبق العالم الإيطالي غاليليو في هذا المجال (المزيني، 1412ه،342؛ وطوفان، 1382ه، 398).

ميادين العلوم التطبيقية:

- **علوم الطب:**

تقدم الطب في العهد الزنكي وتقدمت وسائل دراسته، والدليل على ذلك انتشار البيمارستانات، واهتمام الحكام والأمراء بإنشائها، ووقف الكتب الطبية في ذلك العهد والتي كان من نتائجها بروز عدد كبير من الأطباء الذين أثروا المكتبة الإسلامية بالكثير من المؤلفات الطبية التي كان لها مع ما سبقها من دراسات أثر كبير في إثراء الدراسات الطبية في العصور التي تلتها.

وممن برز في هذا الميدان: الطبيب أفضل الدولة أبو المجد محمد بن أبي الحكم المتوفى سنة 570هـ، والذي اشتهر بالتدريس بالبيمارستان النوري بدمشق في العهد النوري، وقد ذكر ابن أبي أصيبعة كيف كان ابن أبي الحكم يتفقد المرضى بنفسه، وطريقته في تدريس الطب في ذلك البيمارستان، ومناقشاته مع طلابه، ولكنه لم ينسب إليه أي كتاب ألّفه في الطب، وممن اشتهر بالطب في هذا العهد أيضًا: أبو جعفر عمر بن علي بن البذوخ القلعي المغربي، وكان فاضلًا خبيرًا بمعرفة الأدوية المفردة والمركبة، وله حسن نظر في الإطلاع على الأمراض ومداواتها، وله مؤلفاته منها: شرح كتاب الفصول لأبقراط، وشرح كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط، وذخيرة الألباء، والمفرد في التأليف عن الأشياء (المزيني، 1412ه، 343).

- **علم الصيدلة:**

ازدهر علم الصيدلة في العهد الزنكي؛ حيث ارتبط علم الصيدلة في هذا العهد بعلم الأعشاب الطبيعية والنباتات، وعلم الحيوان والمعادن والكيمياء، وقد عمد علماء الصيدلة إلى معرفة الكيمياء من خلال معالجات نسب التركيب، ونظرًا لعدم توفر المعرفة التامّة بطرق التحاليل الكيميائية آنذاك، فقد نظموا مهنة الصيدلة، وجعلوا لهم نقيبًا يسمى برئيس العشَّابين (طوفان، 1382هـ،294؛ والمزيني، 1424هـ،345؛ والشيرازي، 1426ه، 42).

وقد برع الأطباء المسلمون في تركيب الأدوية بنسب معينة، وبرز خلال العهد الزنكي عدد من المتخصصين في تركيب الأدوية (الصيدلة) كانوا في الأصل أطباء، وفي ذلك ذكر ابن أبي أصيبعة أنَّ الطبيب ابن البُذوخ المغربي: كان خبيرًا بمعرفة المفردة المركبة، وكان يهيئ أدوية كثيرة مركبة يصنعها من بعض المعاجين والأقراص والسفوفات، كما ذكر أبو الحسن علي بن أحمد البغدادي في كتابه (المختارات في الطب) أنواع المأكولات وأثرها على الصحة، وأنواع العلاجات والأدوية وكيفية استخراجها (المزيني، 1424هـ،346؛ وابن أبي أصيبعة، 1385ه، 628؛ والبغدادي، 1943، ج336/2).

التطبيقات التربوية لتطوير الواقع التربوي المعاصر في ضوء الفكر التربوي عند نور الدين زنكي:

لم يكن التعليم في العهد الزنكي مجرد نشاط أكاديمي يستهدف توفير الموظفين والمهنيين، وإنما كان بالدرجة الأولى نشاطًا عقائديًا استهدف إعادة صياغة الجماهير المسلمة بما يتفق وأهداف الإسلام والحاجات القائمة، فاهتم نورالدين زنكي بتأسيس المكتبات في المساجد والمدارس، وحثَّ على نشرها، وساعد على القيام بالرحلات

الإسلامية والتي آتت ثمارها بتطور المعارف الجغرافية عند المسلمين وتفوقهم على غيرهم ممن حولهم.

النهضة التعليمية:

- لم يكن التعليم لدى دولة نور الدين زنكي مجرد نشاط أكاديمي يستهدف توفير الموظفين والمهنيين، وإنما كان بالدرجة الأولى نشاطًا عقائديًا استهدف إعادة صياغة الجماهير المسلمة بما يتفق وأهداف الإسلام والحاجات القائمة، وكانت الصفة الجماعية للنشاط التعليمي الذي رافق الدولة الزنكية تبدو واضحة من تباري الوزراء القادة والأغنياء والرجال والنساء في إنفاق أموالهم في بناء المدارس والمؤسسات التعليمية، وتوفير الفرصة لجميع أفراد الأمة لدخولها والاستفادة منها، فقد أعطت الخطة الزنكية أهمية خاصة لتعليم كافة المسلمين من عمال وفلاحين ومزارعين من الكبار والصغار والرجال والنساء، وعملت الخطة على تعليم الجميع أصول العقيدة وأركان الدين والقيم والمبادئ الإسلامية، كما عمدت الخطة الحكيمة على تعرية المذاهب الهدَّامة، والفرق الضالة من إسماعيلية باطنية، وشيعية إمامية، وشعوبية، وأبانت خطرها وضررها على النفس والمجتمع والأمة، وأنَّه لا خروج من المحنة ولا خلاص من الضياع إلا بالعودة إلى روح الدين النقية الطاهرة في صورتها الأولى التي كان عليها سلف هذه الأمة دون زيادة أو نقصان، ودون تعقيدات فلسفية ومجادلات كلامية لا طائل من ورائها ولا خير فيها ولا في مروجيها.
- اهتم نور الدين زنكي بالمساجد اهتمامًا عظيمًا، فقد كان لها دور عظيم عبر التاريخ الإسلامي، فهو أول وأهم أمكنة التعليم على الإطلاق، وقد كان المسجد بالإضافة إلى كونه محل عبادة المسلمين يجتمعون فيه خمس مرات في اليوم لأداء الصلوات المفروضة عليهم، وظل المسجد قاعدة مهمة في التربية والتعليم، ويروى العماد الأصفهاني أنَّ نور الدين زنكي أمر بإحصاء ما في محلات دمشق من مساجد هجرت

أو خربت، فأناف على مائة مسجد فأمره بعمارة ذلك كله، وعيَّن له أوقافًا، وأصلح أحوال المسجد الأموي والمساجد في دولته بالتعمير المادي والمعنوي.

- بلغ اهتمام المرأة المسلمة بالدراسات الشرعية درجة كبيرة لتتعرف على تعاليم الإسلام الصحيحة لتطبيقه عمليًا، وكانت دراسة الحديث تأخذ القسط الأوفى من هذا الاهتمام؛ حيث بلغ كثير من النساء بهذا العلم درجة عالية ونافسن فيه كبار الحفاظ والمحدثين وكنَّ مثالًا رائعًا للأمانة والعدالة، وقد أشارت كتب التراجم والطبقات إلى النشاط العلمي الملموس لهذه الفئات في العهد الزنكي؛ حيث ذكرت تلك المصادر أسماء العديد من المقرئات والمحدثات والفقيهات والأديبات والنحويات إلى غير ذلك من العالمات بالعلوم الأساسية الأخرى.
- شملت النهضة العلمية في العهد الزنكي مختلف العلوم فلم يقتصر الاهتمام على العلوم الشرعية واللغوية والأدبية دون غيرها، فقد نالت ميادين علمية كثيرة نصيبًا من اهتمامات الدارسين والباحثين، وقدمت فيها دراسات علمية رائدة وصنفت فيها كتب مهمة، اعتمد عليها كثير ممن جاء بعدهم؛ حيث ظهرت دراسات متخصصة في العلوم التاريخية والجغرافية وعلوم الرياضيات والفلك وتدريس الطب في كثير من المستشفيات المنتشرة في المدن الزنكية وظهر من بين المشتغلين بهذه التخصصات علماء كان لهم أثر كبير في إثراء المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات المتخصصة التي ظلت رافدًا للعلوم الإسلامية حتى الوقت الحاضر.
- ازداد الاهتمام بالدراسات الاجتماعية في العهد الزنكي وبخاصة في ميداني الدراسات التاريخية والجغرافية؛ حيث برز في هذا العهد عدد كبير من المؤرخين الذين تنوعت اهتماماتهم في مختلف صور الكتابات التاريخية، وقد استخدم التاريخ في تقوية الجانب المعنوي لحركة المقاومة ضد الصليبيين.

وتأتي التطبيقات التربوية المقترحة لتطوير الواقع التربوي المعاصر في ضوء الفكر التربوي عند نور الدين زنكي كركيزة ومجموعة من المفاهيم والحقائق والمعارف والمبادئ

والاتجاهات التي ينبغي على المتعلمين تطبيقها تطبيقًا عمليًّا، ووعيها ومعايشتها بطريقة تنمي قدراتهم على الأداء العملي بشكل جيد، وتساعدهم على تكوين السلوكيات والعادات والاتجاهات الحسنة، وتعمل على تنمية ميولهم وإشباع حاجاتهم بشكل إيجابي لتحقيق الشخصية المتكاملة للإنسان الصالح في ضوء التصور الإسلامي.

ويكون ذلك عن طريق وضع منهاج جديد للتربية، وبناء العقيدة الإسلامية في النفوس، ومحاربة المادية الجارفة والسلبية الدينية، وتصحيح التصور السائد عن الدنيا والآخرة، مع العمل على محاربة التيارات الفكرية المتطرفة والهدامة، والعمل على وجود عدالة اجتماعية شاملة حقيقية لأفراد المجتمع، وفي ضوء ما أسفرت عنه نتائج الدراسة من انعكاسات على المجتمع المسلم في العهد الزنكي، ومن ثم يمكن التطبيق بصورة عملية على الواقع التربوي المعاصر على النحو الآتي:

المجال التعليمي:

لقد اهتم نور الدين زنكي بدور التعليم وبإنشاء المكتبات، المزودة بمجموعة من الكتب التي يرجع إليها الطلاب والباحثون في مختلف التخصصات تبعًا لحجم تلك الدار، والأوقاف التي أوقفت عليها، ولا أدل على ذلك الاهتمام من سياسة نور الدين زنكي الذي أمر بتزويد كل هيئة تعليمية بمكتبة قيمة، وجعل عليها وقفًا كبيرًا يصرف منه على المكتبة والمشتغلين بها، فالنشاط العلمي في عهده لم يكن ترفًا فكريًا، ولكنه كان هدفًا يسعى إلى عملية التأصيل العقائدي من خلال التعليم اعتقادًا منه بأنَّ أمة يسوسها العلماء والمتخصصون يمكن أنْ تينع وتزهو فيها شجرة المعرفة.

كما أنَّ نظام التعليم المتبع في العهد الزنكي لا يقل شأنًا عن نظام المدارس في العصر الحاضر، فالنظام المتبع آنذاك هو أنْ يكون لكل مدرسة عدد من المدرسين يختص كل واحد منهم بتدريس مادة أو أكثر، ويشرف عليهم شيخ يسمى ناظر المدرسة،

ويشترط أنْ يكون الناظر من خيار المدرسين وأشهرهم ومن الذين بلغوا درجة عالية من النضج العلمي، والقدرة العالية في مجال التأليف والتدريس، وقد عني الزنكيون ومن سار على نهجهم في إنشاء المدارس ودور التعليم المختلفة باختيار العلماء الأفذاذ للتدريس في مراكزهم، وحرصوا على استجلاب من أثر عنه العلم الوافر، والسمعة الحسنة بين العلماء وطلاب العلم، كما حرصوا أنْ يكون المدرس سليم العقيدة.

واهتم العلماء في العهد الزنكي بفروع العلوم الأخرى، فقد جدَّ العلماء في العهد الزنكي في دراسة وتحصيل علوم العربية وآدابها، فلا يكاد يوجد عالم من المشتغلين بالعلوم الشرعية إلا وقد عني بدراسة هذه العلوم باعتبارها أساسًا من أهم الأسس التي تقوم عليها العلوم الشرعية، وقد حظيت العلوم العربية وآدابها بعناية فائقة من الزنكيين؛ حيث حرص الحكام وأمراء هذه الأسرة على اختيار العلماء الأفذاذ في هذا المجال لتولي مناصب الكتابة والإنشاء، وكانوا يستقدمون لهذه الوظائف من ذاع صيته وشأنه في هذه العلوم.

واجتمع في المدن الزنكية خلال تلك الفترة طائفة كبيرة من اللغويين والنحاة والأدباء وبرز منهم علماء أجلاء تركوا خلفهم تراثًا مهمًا في علوم العربية وآدابها على اختلاف فروعها والتي من أهمها: اللغة والنحو والصرف والبلاغة والنقد الأدبي، والأدب والعروض والقافية.

وقد حرص المربون في العهد الزنكي وبعده أنْ يسدوا الوصايا والتوجيهات التربوية للطلبة أثناء تلقيهم العلم، وعليه فإنَّ النهوض عندما يحدث للأمة يكون في الغالب شاملًا وليس عسكريًا أو سياسيًا كما يظن البعض ممن يطلقون الأحكام بدون دراسة واعية، أو بحث عميق، ثم يعممون هذه الأحكام الناقصة في جلساتهم ومحاضراتهم ومقالاتهم وبالتالي يساهمون في تسويق ثقافة مغلوطة عن تاريخ أمتنا.

وبتطبيق المجال التعليمي في العهد الزنكي على الواقع التربوي المعاصر، فإنَّه يجب العمل على نفس سياق المربون أثناء العهد الزنكي، وإنْ اختلفت المفردات والأدوات في

العصر الحالي، ويمكن إيجازها على النحو الآتي في ضوء العصر الزنكي مندمجة مع العصرالحالي في حالة شمول الأصول التربوية للمعلم والمتعلم، وذلك على النحو الآتي:

- أنْ يخلص الطالب نيته في طلب العلم، وذلك بأنْ يقصد بعلمه وجه الله تعالى.
- أنْ يحرص الطالب على وقته بأنْ يبادر باغتنام الفرصة لاكتساب العلم.
- ينبغي لطالب العلم أنْ يصبر ويثبت على أستاذ وعلى كتابه، حتى لا يتركه أبتر.
- أنْ يلتزم الطالب بالورع في جميع شؤونه، وأنْ يتحرى الحلال في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه ليستنير قلبه.
- أنْ تتسم العلاقة بين المعلم والمتعلم بالاحترام والطاعة من قبل المتعلم للمعلم، وأنْ يوفي المتعلم متطلبات المتعلم.
- من آداب المتعلم مع معلمه إذا دخل عليه أنْ يكون كامل الهيئة متطهر البدن والثياب، يستأذنه في الدخول وكذلك في الانصراف، وأنْ يكون دخوله لقاعة الدرس قبله حضور معلمه.
- أنْ يلتزم المتعلم الأدب في الاستماع مصغيًا بأدب، ولا ينشغل ولا يعبث بأي شيء أثناء المحاضرة.
- لابد للمتعلم من أن يُحسن مخاطبة معلمه، وألا يقاطعه، أو يخالفه حتى يصل إلى حد المقارعة في الحديث.
- من الواجبات التي كفلت للمعلم حق الاحترام والتقدير من طلابه حتى تدوم العلاقة الحسنة بين ركني التعليم المدرس والطالب على الحب والمودة من كلا الجانبين لتعم الفائدة.

ومن خلال ما سبق وبالتطبيق على المجال التعليمي في العصر الحالي، فقد اختلفت الأدوات والمفردات، فإنَّه وعلى الرغم من الجهود المبذولة لتطوير التعليم سعيًا نحو الارتقاء بجودته وكفاءته، إلا أنْ يلزم وجود فلسفة تعليمية ذات رؤية واضحة المعالم تهدف إلى الجودة، خاصة في ظل نقص الموارد المخصصة للتعليم بالشكل الذي يؤثر في الاستقرار،

والمخرجات فيما تقدمه المؤسسات التعليمية لتحقيق أهدافها المجتمعية، وبناء عليه فيجب العمل على فهم أهداف المؤسسات التعليمية من جانب المعلمين الذين يحملون على عاتقهم تحقيقها في ضوء ضعف قدرة المؤسسات التعليمية على تطبيق المفاهيم الإدارية الحديثة والاستفادة من التقنيات والمعلومات والاتصالات، كما أنَّ ضعف مشاركة العاملين بالمدرسة (معلمين وإداريين) في عملية صنع القرار داخل المؤسسات التعليمية، بالإضافة إلى ضعف قنوات الاتصال الفعالة والمتبادلة بين تلك المؤسسات والبيئة المحيطة يؤدي إلى ضعف الاستفادة من الإنتاجية التعليمية، كما أنَّه يجب العمل على تفعيل وتزويد الموارد المالية وعدم اقتصارها على التمويل الحكومي العالي التكلفة،كما يجب تفعيل دور مجالس الأمناء والمعلمين في التعاون للتطوير والتحسين، مع عمل نظم للرقابة والمتابعة وتوكيد الجودة، مع عمل نظام واضح لتقويم المعلمين والمتعلمين أو وضع معايير محددة لنجاح الطلاب.

وقد جاءت رؤية المملكة العربية السعودية 2030 بتوجيهات من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود –حفظه الله– وبمتابعة وتخطيط ودعم من صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان آل سعود –حفظه الله– ولي العهد رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والتي تسعى لنقل المملكة العربية السعودية إلى مجتمع حيوي ذو اقتصاد مزهر ووطن طموح، ومن هنا سعت وزارة التعليم إلى التطبيق العملي لرؤية المملكة العربية السعودية 2030 ويتمثل ذلك في تطوير جوانب مهمة تركزت في التطوير التعليمي وتشمل: تطوير المعلم وتطوير طرق التدريس وتطوير المناهج وإيجاد البيئة التعليمية المحفزة والجاذبة، وتوفير فرص التعليم قبل الابتدائي، والاهتمام بحضانات الأطفال،كما ركزت على التطوير الإداري لصقل المواهب وتزويدهم بالمهارات، ويبدأ التطوير التعليمي الذي ركزت عليه وزارة التعليم من خلال رؤية 2030 أولًا بتطوير المعلم ويتضح دورها وسعيها في تطويره من خلال إقامة العديد من الدورات والبرامج والتي تصب في مصلحة المعلم وتطويره، إذ يُعَد المعلم العنصر المهم في المنظومة التعليمية.

اهتمت بالمعلم باعتباره العامل المباشر والمؤثر على الطلاب، ولديه القدرة على تسهيل العملية التعليمية لتحقيق النتائج المرجوّة والتي تعطي تعليمًا ناجحًا ومتميزًا، كما شجعت الوزارة وبشكل كبير المعلمين والمعلمات على المشاركة الفاعلة في كل ما يحتاجونه من دورات وورش عمل ولقاءات داخل المملكة وخارجها في مجال عملهم.

كما حرصت الوزارة على بناء فلسفة المناهج وسياستها وأهدافها وسُبُل تطويرها وآلية تفعيلها وربط ذلك ببرامج إعداد المعلم وتطويره المهني، ومما لا شك فيه فإنَّ عطاء المعلم يرتبط ارتباطًا كبيرًا بما يجده من حوافز معنوية وكذلك حوافز مادية تشجعه على الانخراط في الدورات التدريبية وتزيد من عطائه في الميدان التعليمي، كما أنَّ أساس التعليم وركيزته الأساسية هو الطالب فهو محور العملية التعليمية برمتها، وهذا ما تهدف إليه وزارة التعليم من توفير المعلمين الأكفاء كل في مجاله ليستنيروا بنوره، ويكونوا رواد بناء وتطوير لوطنهم.

ومن الواضح تركيز الوزارة على تحقيق الرؤية 2030 فيما يخص الطالب على أن ينال علمًا مفيدًا متميزًا في جميع المجالات العلمية والتربوية والتقنية والجسمية كما حرصت الوزارة على تحقيق الرؤية بالاهتمام بطرق التدريس التي تجعل الطالب هو المحور إضافة إلى المعلم والتركيز على بناء المهارات وصقل الشخصية وزرع الثقة وبناء روح الإبداع، وتركز الوزارة في تطوير التعليم بناء على رؤية 2030 على بناء بيئة مدرسية محفزة ومرغبة للتعلم مرتبطة بمنظومة خدمات مساندة ومتكاملة، فالبيئة المدرسية مشجعة ومحفزةً للمعلمين والمعلمات أو الطلاب والطالبات وهي حضنًا دافئًا لهم وإلهامًا خفيًا ووقودًا ومحركًا يدفعهم للتفوق والتميز فهي التي تقبل الإبداع وترعاه وتنتجه والبيئة المدرسية مرغبة وجاذبة بكوادرها التدريسية ومناهجها التعليمية وبيئتها الصحية الآمنة ووسائلها التقنية الحديثة.

وحرصت وزارة التعليم بالمملكة على تحقيق رؤية 2030 من خلال توفير فرص التعليم قبل الابتدائي والتوسع فيه وتوفير الحضانات ورياض الأطفال بمدارس البنات

وتفعيل ارتباطها مع منظومة التعليم وتطويرها وتهيئة البيئة التعليمية المناسبة لهم، وعليه فإنَّ جهود وزارة التعليم موفقة في تحقيق رؤية المملكة 2030 في التعليم وهي تسعى بتدرج وبشكل مدروس ومنظم وبخطة واضحة.

ملخص نتائج البحث:

❖ **ملخص نتائج الإجابة عن السؤال الأول: مالعوامل التي أسهمت في التكوين الفكري لنورالدين زنكي؟** تعددت العوامل التي أسهمت في التكوين الفكري لنورالدين زنكي، ومنها:

- سماته الشخصية، وتمثلت في: الجدية والذكاء، وشعوره بالمسؤولية، ومواجهة المشاكل، ونزعته للبناء والإعمار.
- صفاته الخُلُقية، وتمثلت في: تجرده وزهده، ومفهومه للتوحيد، وعبادته، ومحبته للجهاد والشهادة، وإنفاقه.
- صفاته الخِلْقِية، وتمثلت في: اللياقة البدنية العالية، وقوة الشخصية، والشجاعة.

❖ **ملخص نتائج الإجابة عن السؤال الثاني: ما التطبيقات المقترحة لتطوير الواقع التربوي المعاصر في ضوء الفكر التربوي عند نور الدين زنكي؟**

- أنَّ التطبيقات التربوية المقترحة لتطوير الواقع التربوي المعاصر في ضوء الفكر التربوي عند نور الدين زنكي فشملت التطبيق في مجالات متعددة وعلى رأسها المجال التربوي والتعليمي.

توصيات البحث:

- ضرورة الاهتمام بالمساجد وبدورها الثقافي والفكري والتربوي.
- الاهتمام بالمرأة المسلمة وضرورة تعليمها الدراسات الشرعية الصحيحة المأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية لتتعرف على تعاليم الإسلام الصحيحة لتطبيقه عمليًا في حياتها وتربية أبنائها.

- تطوير الواقع التربوي المعاصر في ضوء الفكر التربوي عند نور الدين زنكي، وتطبيق أفكاره تطبيقًا عمليًّا.
- وضع منهاج جديد للتربية، يعتمد على بناء العقيدة الإسلامية في النفوس، ومحاربة المادية والسلبية الدينية، وتصحيح الفكر الخاطئ عن الدنيا والآخرة.
- الحرص على اسداء الوصايا والتوجيهات التربوية للطلبة أثناء تلقيهم العلم.

أبحاث مقترحة:

- التنمية المجتمعية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وتطبيقاتها التربوية المعاصرة.
- الفكر التربوي في عصر صدر الإسلام وتطبيقاته في الواقع المعاصر.

مراجع البحث:

1. ابن أبي أصيبعة، أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم، 1385ه، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق: نزار رضا، (بيروت، دار مكتبة الحياة).
2. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني، 1963، **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية**، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، (القاهرة، دار النهضة العربية).
3. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني، 1422ه، **الكامل في التاريخ**، (بيروت، دار المعرفة).
4. ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد علي، 2006، **غاية النهاية في طبقات القراء**، ج1، تحقيق: برجستراسر، (بيروت، دار الكتب العلمية).
5. ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن علي بن محمد، 1413ه، **المنتظم**، ج10، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية).
6. ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، 1954، **زبدة حلب من تاريخ حلب**. ج1، تحقيق: سامي الدهان، (بيروت، دار الكتب العلمية).
7. ابن جماعة، أبي إسحاق إبراهيم، 1417ه، **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العلم والمتعلم** (بيروت، دار الكتب العلمية).
8. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، 1412ه، **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، ج2، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر للطباعة).
9. ابن عساكر، أبو القاسم علي، 1421ه، **تاريخ دمشق الكبير**، (لبنان، دار إحياء التراث).

10. ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، 1419هـ، **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة، دار هجر).

11. أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن، 1422ه، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، ج1، ط1، (بيروت، دار الكتب العلمية).

12. أبو صيني، عبد القادر أحمد، 2000، **دور نور الدين محمود في نهضة الأمة ومقاومة غزو الفرنجة**. [رسالة دكتوراه غير منشورة]. معهد التاريخ والتراث العلمي للدراسات العليا.

13. الأسدي، خير الدين، 1984، **أحياء حلب وأسواقها**، تحقيق: عبد الفتاح رواس قلعة جي، (دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي).

14. الأندلسي، أبو الحسن محمد أحمد الكتاني، 1964، **الرحلة لابن جبير**، (بيروت، دار صادر).

15. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، 1411هـ، **صحيح البخاري**، (بيروت، دار المعرفة).

16. بدوي، عبد المجيد أبو الفتوح، 1408ه، **التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي**، ط2، (المنصورة، دار الوفاء للطباعة).

17. البغدادي، أبو الحسن علي بن أحمد، 1943، **المختارات في الطب**، ج2، (حيدر آباد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية).

18. البلوشي، حامد بن عبد الله بن حامد؛ وإبراهيم، صلاح محمد زكي، 2018، المسؤولية المجتمعية في الإسلام وأثرها في تنمية المجتمعات العربية، **مجلة ريادة الأعمال الإسلامية**، 3(1)، 23-48.

19. البنداري، الفتح بن علي، 1979، **سنا البرق الشامي**، تحقيق: فتحية النبراوي، (القاهرة، دار النهضة العربية).

20. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، 1356ه، **سنن الترمذي الجامع الصحيح**، تحقيق الشيخ: أحمد محمد شاكر، ط1، (القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي).

21. جنيح، حفيظة، 2019، دور المدرسة والأسرة في تنمية المجتمع، **مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، 3(28)، 452-477.

22. الجوزي، سبط؛ والدكن، حيدر آباد، 1950، **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، ج8، (القاهرة، دار النهضة العربية).

23. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، 1419ه. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج1، (بغداد، مكتبة المثنى).

24. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، 1406ه، **المستدرك**. ج1. (بيروت، عالم الكتب).

25. خليل، عماد الدين، 1400هـ، **نور الدين محمود الرجل والتجربة**، (دمشق، دار القلم).

26. الدمشقي، عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد، 1367ه، **الدارس في تاريخ المدارس**، ج1. تحقيق: جعفر الحسين، (دمشق، مطبعة الترقي).

27. الذهبي، شمس الدين محمد أحمد، 1402ه، **سير أعلام النبلاء**، ج20، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط)، ط2. (بيروت، مؤسسة الرسالة).

28. الرفاعي، محمود أحمد عقلة، 1994، **واقع التربية الإسلامية في عهد نور الدين زنكي في بلاد الشام دراسة وصفية تحليلية**، [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة اليرموك، الأردن.

29. السروجي، طلعت مصطفى؛ وآخرون، 2001، **التنمية الاجتماعية المثال والواقع**، (بيروت، مركز نشر وتوزيع الكتاب الجامعي).

30. سيد، أحمد فؤاد، 2002، **تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب**، (القاهرة، مكتبة مدبولي).

31. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، 1384هـ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**. (القاهرة، عيسى البابي الحلبي).

32. شهبة، تقي الدين أحمد بن قاضي، 1971، **الكواكب الدرية في السيرة النورية**، (تحقيق: محمود زايد)، (بيروت، لبنان).

33. الشيرازي، عبد الرحمن بن نصر، 1426ه. **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، (القاهرة، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه).

34. الصلابي، علي محمد، 1427ه. **الخليفة الراشد والمصلح الكبير عمر بن عبد العزيز ومعالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة**، (دمشق، دار ابن كثير).

35. صلاح الدين، مجاهد بن مجدد الدين، 1414ه، **لا طريق غير الجهاد لتحرير المسجد الأقصى وإحباط المؤامرة العالمية على الأمة الإسلامية**، د/ن.

36. طقوش، محمد سهيل، 1419هـ، **تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام**، (لبنان، بيروت).

37. طوفان، قدري، 1382هـ، **تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك**، ط3، (دار القلم، القاهرة).

38. عيد، عادل عزت محمد، 2019، المسؤولية الاجتماعية للقطاع الخاص ودورها في تحقيق التنمية المستدامة. **مجلة جامعة أم القرى للعلوم الاجتماعية**. 11(2)، 235-289.

39. الغامدي، عبد الله شخص، 2015، **مقومات الإصلاح المجتمعي عند عمر بن عبد العزيز وإمكانية الاستفادة منها في الواقع التربوي**. [رسالة ماجستير غير منشورة]. كلية التربية، جامعة أم القرى.

40. الفاربي، عبد اللطيف وآخرون، 1994، **معجم علوم التربية**، (الدار البيضاء، مطبعة النجاح).

41. القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض، 1411هـ، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ج2، تحقيق: أحمد بكير محمود، (بيروت، دار مكتبة الحياة).

42. كرتات، رقية محمد محمد أحمد، 2021، أثر التنمية الاقتصادية المتوازنة على حل مشكلة البطالة بالمملكة العربية السعودية. **مجلة الإدارة والقيادة الإسلامية**. 6(2)، 228-260.

43. المالكي، ابن الحاج أبو عبد الله بن محمد الفاسي، 1421ه، **مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة**، ج2، (القاهرة، مطبعة الحلبي).

44. الماوردي، علي بن محمد، 1398ه، **أدب الدنيا والدين**، تحقيق: مصطفى السقا، ط4، دار الكتب (بيروت، العلمية).

45. المزيني، إبراهيم بن محمد، 1424هـ، **الحياة العلمية في العهد الزنكي**، ط2، (د/ن).

46. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (1992)، **صحيح مسلم**، ج2، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط2، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).

47. المقدسي، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل، 1991، **عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، ج1، تحقيق: أحمد البسيومي، (دمشق، وزارة الثقافة).

48. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي، 1997، **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط المقريزية**. ج6. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت، دار صادر للطباعة والنشر).

49. مؤنس، حسين، 1408هـ، **رائد نصر المسلمين على الصليبيين نور الدين محمود سيرة مؤمن صادق**، ط3، (الرياض، الدار السعودية).

50. نابي، عبد الحميد عمار، فبراير، 2014، اتجاهات التنمية ونظريتها ومدى ملاءمتها للتطبيق على دول العالم الثالث. **المجلة الجامعة**. 1(16)، 277-311.

51. الناصر، محمد حامد، 1419هـ، **الجهاد والتجديد في عهد نور الدين وصلاح الدين**، (القاهرة، مكتبة الكوثر).

52. نقلي، آسيا سليمان، 2002، دور الفقهاء والعلماء في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية، (الرياض، مكتبة العبيكان).

53. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله، 1979، معجم البلدان، ج13، (بيروت، دار صادر للطباعة والنشر).